مجموعة قصص للأطفال

مَا وَرَدَ
في القرآن من
الطير والحيوان

تأليف
الحسَيْني شعبان المهدي

دار ابن حزم

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

مَا وَرَدَ
فِي القرآن مِنَ
الطير والحيوان

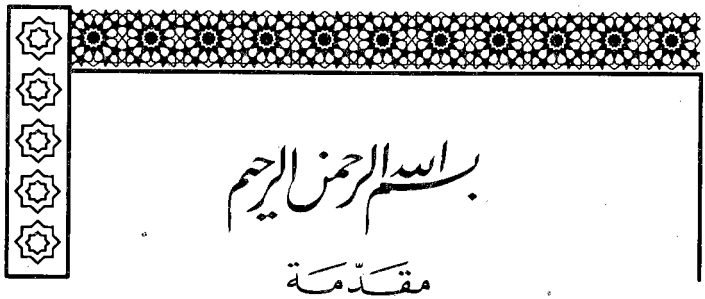

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

أيها الطفل المسلم.. أيتها الطفلة المسلمة، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

إنكم تشاهدون كثيراً من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وتسمعون عن بعضها. هذه المخلوقات التي خلقها الله جلَّ وعلا، لم يخلقها عبثاً، وإنما خلقها لحكمة قد ندركها، وقد لا نعرفها.

وبعض هذه المخلوقات التي تعيش معنا على الأرض من الطير والحيوان، جاء ذكر بعضها في القرآن الكريم.

بيّن كتاب الله بعضَ أسرار هذه المخلوقات من خلال أحداث مرّت من قديم الزمان تحكيها الآيات البيِّنات.

هذه الأحداث والقصص التي كان لهذه المخلوقات دور فيها، أحداث لطيفة مملوءة بالأخبار المثيرة. ومعرفتها إن شاء الله توسع مداركم، وتنمي أفكاركم، وتعرّفكم الكثير من تعاليم دينكم.

وجدت من واجبي نحوكم أن أوضح لكم بعض ما خفي عليكم منها، فأعددت هذه السلسلة من القصص القصيرة، وأسميتها: «**ما ورد في القرآن من الطير والحيوان**».

وقد تعمّدت أن أجعل أسلوبها سهلاً واضحاً يكشف لكم بعض أسرار هذه المخلوقات.

أدعو الله مخلصاً أن يوفقني إلى ما ينفعكم، إنه سميع مجيب الدعاء.

الحسيني شعبان المهدي
١٩٨٨/٧/١٠م

(١)
الغراب المعلِّم

هل سمعتم عن طائر يعلّمُ أحد الناس؟ ويدلّه على تصرف صحيح يصنعه؟ ويتعلّم هذا الإنسان من الطائر ويعمل بنصحه؟

أنا ذلك الطائر المعلم.

لا تتعجب وتقول: هذا غير معقول.

فسوفي أحكي لك الآن حكايتي، وأقصّ عليك روايتي بعد أن أبيّن لك شخصيتي، وأوصافي وهويتي.

أنا الغراب.. هل سبق لك أن رأيتني؟ أم أنك سمعت عني وما شاهدتني؟

على كل حال، سوف أوضح لك كل شيء في هذا المجال: أنا طائر أسود اللون دائماً، ليس

لي لون آخر، وكلما كبرت سني ازداد ريشي سواداً، ولا يبيض أبداً.

حتى أن هناك مثلاً يردّده الناس عندما يريدون بيان المستحيل فيقولون:

لن يحدث كذا حتى ولو شاب الغراب.

حجمي تقريباً من حجم الحمامة، والصغير منّا في حجم اليمامة، وصوتي اسمه: «النعيب»، ووقعه في الآذان غريب، يتشاءم الناس من نعيبي، ويكرهون صوتي ووجودي، ولكنني في الحقيقة مظلوم، فليس في وجودي نحس أو هموم.

أسكن دائماً في أعالي الأشجار، أو في قمم الجبال بين الأحجار، ونظري قوي حاد؛ أبلغ به كل المراد، وأسمع أي صوت مهما كان ضعيفاً، وأنتبه لأي حركة ولو كانت «حفيفاً»[1]، حتى ضربوا بي المثل في الحذر، وشدة السمع وقوة النظر، طعامي الديدان والحشرات، حيث أنظف الحقول من

(١) الحفيف: صوت تحرك أوراق الأشجار بفعل الهواء.

الآفات، وسيقاني طويلة سوداء لأستطيع السير في الطين والماء، ومنقاري قوي مدبب، لا تجد الحشرات منه مهرب، إنّ بيْضَ زوجتي الغرابة بيضتان، نَتَنَاوب عليها الرقاد فترة من الزمان. فراخنا صغيرة الجسم، كبيرة الرأس، جرداء سوداء. (نزقها)[1] بالمنقار، بما نصطاده في النهار، نحضر إلى الحقول في الخريف والشتاء، ونتركها إذا الصيف جاء.

هذه هي صفاتي، بيّنت لكم فيها ذاتي، وإليكم مع بعض الأنبياء حكاياتي، لي قصتان وردت إحداها في القرآن.

القصة الأولى

هي قصة لطيفة، وحكاية ظريفة، كنت فيها لقابيل بن آدم معلماً، عندما فعل فعلاً محرّماً، والآيات القرآنية تحكي هذه القصة البهية.

يقول سبحانه وتعالى في سورة المائدة:

---

(١) نزقها: نطعمها في فمها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

جاءت هذه القصة في القرآن، لتبيّن للناس نتيجة البغي والحسد والعدوان، في خبر ولديْ آدم عليه السلام. والقصة بالتفصيل عن قابيل وأخيه هابيل، ولديْ آدم وحواء تحكي أول جريمة قتل لم ترضَ عنها السماء.

كانت حواء تلد في كل مرّة توأماً: أحدهما: ذكر، والثاني: أنثى. فكان آدم يزوّج الأنثى من

البطن الأولى للذكر من البطن الثانية، بحيث لا يحلّ زواج توأم بتوأمه التي ولدت معه.

ولدت حواء مع قابيل أختاً جميلة يقال إنها كانت تسمى «أقليمياء»[1]، ومع هابيل أختاً أقلّ جمالاً هي «ليوذا»[1].

وعندما أراد آدم عليه السلام تزويج هابيل بأقليمياء، اعترض قابيل وقال: أنا أحقّ بها من أخي؛ فقال آدم لقابيل: يا بني إنَّ الله أمرني بذلك، والفضْل بيد الله يؤتيه من يشاء، واستمر الخلاف إلى أن وصلوا إلى اتفاق وافق الجميع عليه، وهو أن يتقدم كل من الأخوين إلى الله (بقربان)[2]، فمن تقبّل الله قربانه هو الفائز بـ «أقليمياء الجميلة».

وقدَّم هابيل شاة سمينة حيث كان صاحب غنم، وقدَّم قابيل حزمة من القمح لأنه كان صاحب زرع. وانتظرا من الله الفصل في الأمر، فأرسل الله

---

(١) تفسير القرطبي والطبري.

(٢) قربان: شيء من الطعام الذي يملكه كل منهما يقربه إلى الله ليعرف هل يرضى الله تعالى عن عمله؟.

ناراً بيضاء أكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، فتضايق قابيل وغضب وتلبَّسه الشيطان، وهدَّد أخاه بأن يقتله، وكان هابيل أقوى من أخيه ولكنه امتنع عن العدوان والردّ على أخيه بالشرّ، بل امتنع حتى عن الدفاع عن نفسه.

وسيطر الشيطان على قابيل فأخذ حجراً وضرب به رأس أخيه هابيل فقتله.

ثم تحيَّر ماذا يفعل بجثة أخيه بعد أن قتله فلم يكن الموت والدفن معروفاً بعد. «فحمل قابيل جثة أخيه هابيل مدّة طويلة من الزمن، وكان ذلك في جبل ثور قريباً من مكة»[1].

وأخيراً بعث الله تعالى أحد أجدادي ومعه غراب آخر أمام قابيل، فتقاتلا حتى قتل أحدهما الآخر.

وحفر الغراب القاتلُ حفرة دفن فيها الغراب المقتول تعليماً وإرشاداً لقابيل حتى يدفن أخاه بعد أن قتله.

---

(١) تفسير القرطبي، عن ابن عباس وابن عمر.

وكان ذلك توجيهاً وإيحاءً من الله للغراب حتى يتعلّم قابيل كيف يدفن أخاه هابيل، وبعد أن دفن جثة أخيه، أصابه الندم والحزن على جريمته.

ثم كان أن كتب الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل بأن القتل جريمة منكرة. وخصَّ بني إسرائيل بذلك، لأنه يعلم سبحانه بأنهم قساة قتلة.

هذه هي قصة جدي الغراب المعلّم مع ولديْ آدم عليه السلام.

القصة الثانية

أما القصة الثانية: فهي قصة واحد من أجدادي الغربان مع نبي الله نوح عليه السلام في سفينته التي حمل فيها من كل زوجين اثنين عندما جاء الطوفان.

وبعد أن أهلك الله الكفار من قومه غرقاً، ونجّى نوحاً ومن كان معه في السفينة أراد نوح عليه السلام أن يعرف مدى قربه من الأرض بعد أن شربت الأرض الماء، فأرسل جدي الغراب ليكشف له خبر الأرض، فطار الغراب حتى نزل على أرض

وجد عليها جثة فانشغل في أكل لحمها، ولم يعد إلى نوح فدعا عليه نبيّ الله بالخوف. واستجاب الله دعاءه، فصرنا نحن الغربان دائماً خائفين، لا نأمن ولا نستقر إلا بعيداً عن الناس.

ثم أرسل نوح عليه السلام «الحمامة» فطارت حتى وصلت إلى أرض سبأ، ووقفت على شجرة زيتون وحملت معها غصناً منها، ثم طارت حتى وصلت إلى الكعبة المشرّفة، وقد قلّ المال حولها وهبطت ووقفت بجوارها، فاحمرّت رجلاها من طينة الأرض الحمراء، ثم عادت إلى نبيّ الله نوح بالبشارة، ففرح هو ومن معه، ثم طوّقها بطوق أبيض في عنقها ودعا لها بالبركة[1].

هذه هي حكاياتي مع نبيّ الله آدم عليه السلام «أبي البشر»، ومع نوح عليه السلام أوّل رسل الله من أصحاب العزم.

الغراب المعلِّم

(١) تفسير الطبري؛ عن صاحب كتاب: «العروس».

أسئلة للمناقشة:

١ ـ بماذا نسمي صوت الغراب؟

٢ ـ أين يسكن الغراب؟ وكيف يطعم أفراخه؟

٣ ـ ما فائدة الغربان للفلاح؟ ومتى تأتي للحقول؟

٤ ـ صف أفراخ الغراب.

٥ ـ كيف استطاع الغراب أن يرشد قابيل إلى دفن جثة أخيه هابيل؟

٦ ـ ما اسم الفتاة التي قتل قابيل أخاه «هابيل» بشأنها؟

٧ ـ لماذا لم يرجع الغراب إلى نوح عندما أرسله ليكتشف الأرض؟

٨ ـ بماذا دعا عليه نوح عليه السلام؟

٩ ـ من جاء بالبشارة إلى نوح؟

١٠ ـ كيف كافأ نوح عليه السلام الحمامة على إخلاصها؟

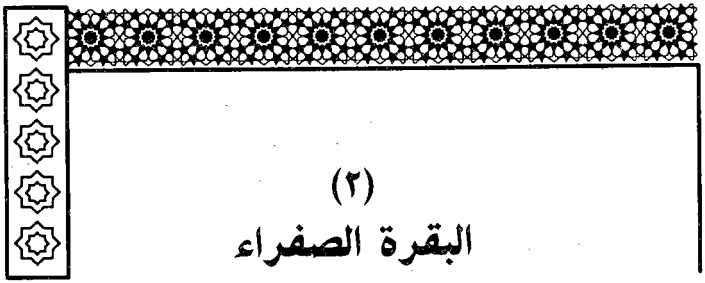

(٢)
البقرة الصفراء

أبنائي وبناتي الأعزاء:

سوف أقصّ عليكم قصة عجيبة، أحداثها مثيرة غريبة، حدثت من قديم الزمان، وجاء ذكرها في محكم القرآن، وكان ذلك في عهد نبيّ الله موسى ابن عمران.

بطلة هذه القصة من الحيوان، وسميّت السورة باسمها، وذكرت الآيات ما حدث في شأنها.

والسورة هي سورة البقرة، وأيضاً بطلة القصة هي البقرة والقصة فيها معجزة وعبرة.

نقرأ أولاً هذه الآيات التي توضح لنا القدرة الإلٰهية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ۖ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَـْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ صدق الله العظيم.

وقصة البقرة هذه تكشف طباع اليهود، وما جُبلوا[1] عليه من حبّ للجدل والشح والبخل، والكذب والخداع والغش إلى أبعد الحدود.

---

(١) جبلوا: تطبّعوا واشتهروا.

ففي عهد موسى عليه السلام، وفي صبح أحد الأيام، وجد الناس رجلاً غنياً اسمه «عاميل»[1] وجدوه قتيلاً أمام أحد البيوت، فاتهموا صاحب البيت بقتله.

ولم يكن له أقارب أو ورثة إلا ابن أخيه الوارث الوحيد لعمه، وعندما أخبروه بقتل عمه بكى حزناً عليه وشفقةً به ثم طالب بدمه من صاحب البيت الذي وجدوا جثة عمه أمام بابه، وأنكر المتهم التهمة، وأصرَّ على الإنكار ووصل الأمر إلى القتال والحرب.

فتدَّخل العقلاء من القوم، وقالوا للمتقاتلين: كيف تتحاربون، ورسول الله موسى يعيش بيننا؟ سنذهب إليه ليكلّم ربه، فيكشف لنا القاتل الحقيقي ونحاكمه بما يستحقّ من عقاب.

وعرضوا الأمر على موسى عليه السلام، وطلبوا منه أن يكلّم ربه ويكشف لهم قاتل «عاميل».

وكلَّم موسى ربه سبحانه وتعالى، ثم عاد

---

(١) تفسير القرطبي جـ١.

ليقول لهم: اذبحوا بقرة، فسخروا من قوله، واتهموه بأنه يهزأ بهم، ولكنه عليه السلام قال لهم: أعوذ بالله أن أكون ساخراً أو مستهزئاً بأمر كهذا، ولكن الله طلب منكم أن تذبحوا بقرة ليكشف لكم قاتل «عاميل» بواسطة هذه البقرة المذبوحة.

ولو أنهم أطاعوا موسى عليه السلام، وذبحوا أي بقرة، لكَفَتْ، وأوفت بالمطلوب. ولكن اليهود - كعادتهم في كل زمان ومكان أهل جدل وبخل - قالوا له تهرباً من دفع ثمن البقرة ومجادلةً لتعقيد الأمر: ادع لنا ربك يبيّن لنا ما هذه البقرة؟ وما صفتها؟

فدعا موسى ربه ثم رجع إليهم ليقول: إنَّ الله تعالى يقول: إنها بقرة متوسطة العمر، ليست كبيرة عجوزاً، وليست صغيرة لم تلد بعد، ثم نصحهم بعد هذا التوضيح فقال لهم: افعلوا ما تؤمرون به وأطيعوا أمر الله، ولكنهم عادوا مرّة أخرى إلى تشدّدهم وتعنّتهم المعروف عنهم، فقالوا له: ادع لنا ربك يبيّن لنا ما لون هذه البقرة؟

وجاء إليهم بالجواب من عند الله وهو: إنها

بقرة صفراء اللون، صافية الصُّفرة، منظرها يسرّ كل من يراها.

وللمرّة الثالثة، يتعنّتون ويجادلون ويطلبون منه أن يبيّن الله لهم صفات أخرى للبقرة، مدّعين أن البقر كثير متشابه ولن يستطيعوا تمييزها عن غيرها من البقر، ثم خجلوا من أنفسهم، فقالوا له هذه الجملة: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

فردَّ عليهم الله على لسان موسى عليه السلام: إنَّ هذه البقرة مكرَّمةً غير مهانة، لا تسقي الزرع، ولا تحرث الأرض، خالية من العيوب الجسمية. فبحثوا كثيراً حتى يعثروا على بقرة هذه صفاتها، فوجدوها بعد تعب ومشقة وكان يملكها غلام يتيم. ورفض أن يبيعها لهم إلا إذا دفعوا له وزنها ذهباً. هذا بالرغم من أنَّ غيرها من البقر لا يساوي أكثر من ثلاثة دنانير وقتئذ.

فأصابهم الغمّ والحسرة والحزن، وجمعوا المال واشتروا منه البقرة وذبحوها وهم نادمون متحسرون على المال والتعب الذي أصابهم في البحث عن البقرة.

ثم طلبوا من موسى أن يبيّن لهم كيف سيكشف الله عن القاتل بعد أن يذبحوا البقرة؟

فقال لهم موسى: اضربوا القتيل بجزء من البقرة المذبوحة، وفعلوا ما أمرهم به. فأحيا الله القتيل، ثم ذكر اسم قاتله. وكان القاتل هو ابن أخيه وكان اسمه: «أحيحة الجلاح»[1] وظهر أنَّ سبب القتل هو الطمع في مال عمه الذي سيرثه بعد موته، ثم مات «عاميل» بعد ذلك التصريح مرّة ثانية.

ولم يرث أحيحة أموالَ عمه.

وكانت هذه أول مرّة يُشرع فيها حرمان القاتل من مال المقتول؛ ولما جاء الإسلام بعد ذلك أكد هذا الحكم في شريعته السمحاء.

- ويروي علماء الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال في شأن هذه القصة: «**لولا أنَّ بني إسرائيل قالوا في آخر أسئلتهم: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾، لضيَّق الله عليهم أكثر وأكثر**»[2].

---

(١) تفسير الطبري جـ١.

(٢) صحيح مسلم بإسناد صحيح.

- والقرآن الكريم حين ذكر في آياته قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ بيَّن لنا: أنَّ بني إسرائيل لم يذبحوا البقرة إلا مكرهين.

- أما قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

فيبيّن الله في الآية: أنهم اختلفوا فيما بينهم؛ كل منهم يدفع التهمة عن نفسه وينسبها لغيره.

- وقوله جلَّ وعلا: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ بيَّن أنَّ هؤلاء اليهود لم يكونوا مؤمنين بالبعث، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يريَهم أنَّ البعث حقّ وصدق؛ وقدرة الله في البعث قد شاهدوها بأعينهم ليؤمنوا بالقيامة والبعث والحساب.

وأخيراً فإننا نأخذ من قصة البقرة هذه دليلاً على أن: «شرع من قبلنا شرع لنا» وذلك لأن الكتب السماوية كلها منزّلة من عند الله على الأنبياء وأنَّ الأحكام كلها واحدة فيها، ولولا أنَّ اليهود والنصارى قد حرّفوا في التوراة والإنجيل لرأينا أنَّ

جميع الأحكام الشرعية واحدة في التوراة والإنجيل والقرآن.

أيها التلميذ المسلم، أيتها التلميذة المسلمة...

هل عرفتم صفات اليهود، وما كانوا عليه من عناد وجدال وتعنّت مع أنبيائهم؟

وأنَّ اليهود هم هم، في كل زمان ومكان قديماً وحديثاً، لا يتغيرون ولا ينصلح حالهم أبداً.

فيهود موسى، هم يهود المدينة في عهد رسولنا محمد ﷺ، هم يهود فلسطين اليوم.

نفس الأخلاق والصفات، وحبّ المال، والخديعة والمكر وإثارة الفتن والدسائس والمؤامرات.

فاعرفوا يا أبنائي أنهم أعداء ديننا، أعداء قومنا، أعداء البشرية كلها فاحذروهم ولا تؤمنوا إلا لِمَن تَبِعَ دينكم.

أسئلة للمناقشة:

١ ـ ما اسم السورة القرآنية الكريمة التي وردت بها القصة؟

٢ ـ في أي عهدٍ حدثت هذه القصة؟

٣ ـ ما اسم الرجل الذي قتل؟

٤ ـ لماذا تحايل اليهود وتلكأوا عندما أمرهم موسى عليه السلام بذبح البقرة؟

٥ ـ اذكر سببين من الأسباب التي لجأ إليها اليهود للتهرّب من ذبح البقرة؟

٦ ـ بِكَم اشتروا بقرة اليتيم؟ ولماذا ندموا على جدلهم؟

٧ ـ مَن كان قاتل عاميل؟

٨ ـ ما هي صفات اليهود التي اتصفوا بها على مدى التاريخ؟

٩ ـ ماذا فعل اليهود في أرض فلسطين؟

١٠ ـ كيف نستطيع التخلص من اليهود؟

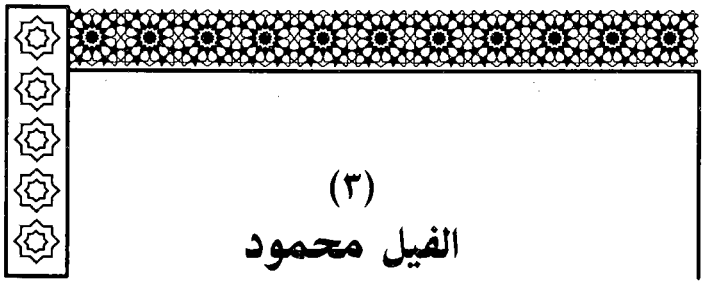

(٣)
الفيل محمود

ابني العزيز، ابنتي العزيزة..

هل رأيتم الفيل في حديقة الحيوان؟ وهل ركبتم على ظهره؟

أم أنكم خفتم منه لضخامته؟ وهل شاهدتم خرطومه الطويل؟

ماذا يفعل به؟ وكيف يحركه؟ وما فائدة هذا الخرطوم للفيل؟

وهل تعرفون أصل هذا الحيوان الكبير الحجم؟ وكيف يتوالد؟

وماذا يأكل؟ وما اسم انثى هذا الحيوان؟ وكم سنة يعيش الفيل؟ وهل هو حيوان متوحش، أم هو مستأنس؟

كل هذه أسئلة تحبّون طبعاً أن تعرفوا الإجابة عنها.

وإن شاء الله في الصفحات التالية سوف أجيبكم عن كل سؤال من هذه الأسئلة، ثم أحكي لكم قصة فيل عظيم مؤمن هو «الفيل محمود» الذي كان له دور مشرّف في وقعة أصحاب الفيل التي جاءت أحداثها في القرآن الكريم.

إنَّ المواطن الأصلية للفيل هي بلاد الهند والحبشة، ثم انتقلت الأفيال من مواطنها الأصلية إلى بلاد كثيرة، منها بلاد فارس حيث استطاع الإنسان أن ينقلها إلى كل مكان على الأرض. وهناك موطن آخر للفيل في غابات أمريكا الجنوبية حيث توجد الغابات الكثيفة[1]. ومن فارس انتقلت الفيلة من قديم الزمان إلى بعض بلاد العرب، واستؤنست فيها. وأصبحت من الحيوانات الأليفة بعد تدريبها، كبقية الحيوانات التي استطاع الإنسان أن يتعايش معها «ويروّضها»[2]، لتصبح هادئة مطيعة قابلة للتدريب والتعلُّم:

---

(١) الكثيرة الملتفة الأشجار.

(٢) يعودها بالتدريب.

فالأفيال إذن، منها الوحشي الذي يعيش في الغابات، ومنها الأهلي الذي يعيش مع الناس، ومنها الموجود في حدائق الحيوانات.

وأنثى الفيل تسمى «الفِيلةَ» وهي تحمل وليدها في بطنها سبع سنوات، ثم تلده كاملاً: أسنانه متكاملة، وأعضاؤه غير ناقصة وإن كان صغير الحجم، ثم يكبر بعد ذلك. ويسير الفيل الصغير خلف أمه، ويرضع الحليب منها فترة من الوقت حتى يستطيع تناول طعامه بنفسه، وهو يأكل الحشائش الخضراء مثلهُ مثل البهائم كالبقر والجاموس.

والفيل من الحيوانات «المُعَمرة»[1]، فمتوسط أعمار الأفيال من ثمانين سنة إلى مائة سنة، والوحشي منها أطول عمراً من الأهلي. والفيل حيوان ذكي قابل للتدريب والألفة.

ومما جاء عنه: أنَّ الهنود والفرس كانوا يدربون الأفيال على الحرب بالسيوف، فيربطون

(١) التي تعيش عمراً طويلاً.

بخرطومها الطويل سيفاً كبيراً ثقيلاً حاداً، ويطلقونها أثناء الحرب تضرب بالسيف يميناً وشمالاً... يساعدها في ذلك خرطومها المَرن السريع القوي.

ويعتبر الفيل من أضخم الحيوانات؛ ولكنه مع ضخامته خفيف الحركة، سريع الجري، صافي الذهن، يميل إلى الطرب والفكاهة. وهو من أقوى الحيوانات على حمل الأثقال.

والفيل من الحيوانات التي تستطيع أن تخوض الماء العميق، ولكنها في أثناء ذلك ترفع خرطومها فوق سطح الماء لتتنفس به الهواء لأن أنفها في نهاية خرطومها.

وإذا قامت معركة بين الفيل الوحشي والأسد، فإن الفيل غالباً هو الفائز في المعركة.

ويقول علماء الحيوان: أنَّ الفيل يموت إذا قطع خرطومه؛ وتأكيداً لهذه النظرية فإنَّ عمر بن الخطاب كان يوصي الجنود الذين اشتركوا في معركة القادسية بأن يضربوا أفيال الفرس بالسيوف على خراطيمها فيقطعوها. وكانت الأفيال تموت بمجرد أن تقطع خراطيمها.

وهناك قصة مشهورة وردت أحداثها في كتب التاريخ، وجاء ذكرها في القرآن الكريم، وهي قصة أصحاب الفيل، ولها سورة خاصة في كتاب الله هي سورة الفيل لعلكم قرأتموها وحفظتموها في مقرر التربية الإسلامية.

كان بطل هذه القصة هو «الفيل محمود».

قصة أصحاب الفيل

في السنة التي وُلِدَ فيها رسولنا محمد ﷺ حدثت قصة أصحاب الفيل؛ ولذلك سمي العام الذي وُلِد فيه رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام: «عام الفيل».

وأحداث القصة مرتبطة بمحاولات قام بها ملك اليمن أبرهة الأشرم في ذاك الوقت ليصرف الناس عن الحجّ إلى بيت الله الحرام بمكة؛ فبنى كنيسة بصنعاء: عالية البناء، متسعة الأرجاء، مزخرفة الجدران، قوية البنيان. سمّاها العرب وقتئذ: «القليس». وسبب هذا الاسم ارتفاع بنائها بحيث إذا حاول أي إنسان أن ينظر إلى سقفها رفع رأسه حتى

تسقط «قلنسوته»[1] إلى الخلف. وبعد أن أتمَّ أبرهة بناء هذه الكنيسة ملأها بالقساوسة والسدنة[2] والرهبان. ثم أرسل إلى العرب في كل مكان يدعوهم إلى الحجّ في تلك الكنيسة بدلاً من كعبة الله المشرّفة في مكة؛ فتضايق العرب. وغضبت قبيلة قريش غضباً شديداً. وقام رجل من العرب، ودخل الكنيسة سرّاً، وتبوّل وتبرّز فيها وخرج دون أن يراه أحد.

وعَلِمَ أبرهة بذلك فغضب وثار وهدَّد وتوَّعد، ثم أقسم أن يسير إلى مكة بجيش كبير ويهدم بيت الله الحرام الذي يقدّسه العرب ويحجّون إليه كل عام.

ثم أراد أن يتأكد إن كان صاحب هذه الفعلة من العرب أم لا، فأرسل رجلاً من عنده إلى قبيلة كنانة[3] يدعوهم إلى الحجّ في كنيسته «القليس» فقتل بنو كنانة ذلك الرجل، فزاد غضب أبرهة على

---

(١) قلنسوته: ما يلبسه على رأسه.

(٢) رجال الدِّين في الكنيسة.

(٣) قبيلة من قبائل العرب.

العرب وبيتهم، ثم أمر الحبشة فهيّأت وتجهزت في جيش ضخم كثيف، واستصحب معه هذا الفيل الضخم «محمود».

وهو فيل كبير، قوي، حبشي له راعٍ يوجهه ويأمره فيطيع، وكان قصده من أخذ الفيلِ هو أن يربط بناء الكعبة بالحبال؛ ثم يربط أطرافها في جسم الفيل الضخم، ثم يندفع الفيل فيهدم الكعبة بقوته الكبيرة.

وانتشر الخبر في جميع أنحاء الجزيرة، فخرج إليه رجل من أشراف العرب اليمنيين وملوكهم اسمه: «ذو نفر» في جيش من أتباعه؛ واعترض جيش أبرهة ليمنعه عن تنفيذ رغبته ولكن أبرهة هزمه وجيشه، ثم أسره وأخذه معه ليدلّه على الطريق إلى مكة.

ومرَّ في طريقه بأرض يقال لها: «خثعم» فاعترض جيشه رجل اسمه: «نفيل بن حبيب»، ومعه أتباعه ليدافعوا عن بيت الله الحرام، فهزمهم أبرهة أيضاً وأخذ نفيْل أسيراً معه. واستمر في رحلته حتى مرَّ بأرض الطائف، فقابله زعيم بني ثقيف واسمه: «مسعود بن معتب» ولكنه لم يحاربه بل أظهر له الودّ والمساعدة خوفاً على صنمهم «اللاّت».

ودلّه على الطريق إلى مكة، وأرسل معه دليلاً يدلّه على الطريق كان إسمه: «أبا رُغال». وعندما وصلوا قريباً من مكة مات «أبو رغال» فدفنوه في مكان اسمه: «المغمس»، ولا يزال قبره معروفاً إلى الآن فكان العرب يرجمون هذا القبر، واستمر الرجم إلى الآن في المغمس، وهو العمل الذي يقوم به الحجاج إلى الآن، فكأنهم يرجمون الشيطان.

واستولى أبرهة على إبل وغنم العرب، وكان لعبدالمطلب بن هاشم جدّ الرسول ﷺ وسيد قريش وزعيمها، كان له في هذا المال مائتي بعير[1].

وعَلِمَ عبدالمطلب بذلك، وكان رجلاً شجاعاً ذكياً حسن الوجه صريح القسمات، يظهر على وجهه النبل والشهامة، فذهب إلى أبرهة يطلب منه ماله من الإبل.

فلما رآه أبرهة أعجب به؛ ونزل من على سريره وقابله وتحدَّث معه عن طريق ترجمان، ولما عرف أنه إنما جاء يطلب المال قال له: لقد أعجبتني

---

(١) جمل.

حين رأيتك، ولكني استصغرتك حين طلبت المال وتركت بيتكم المقدس الذي هو رمز دينك ودين آبائك وأنت تعلم أنني ما جئت إلى هنا إلاّ لأهدمه حجراً حجراً.

فردَّ عليه عبدالمطلب بن هاشم: إنما طلبت مالاً أنا صاحبه، أما البيت فله ربّ يحفظه ويرعاه، ونحن لا طاقة لنا بمنعك، فردَّ عليه أبرهة قائلاً: لن يستطيع ربّ بيتكم أن يمنعني.

فقال عبدالمطلب: البيت أمامك، ولن أمنعك عنه.

فأعاد إليه أبرهة ماله من الإبل، فأخذها عبدالمطلب ثم عاد إلى مكة وأخبر قومه بما حدث بينه وبين أبرهة واتّجه إلى حلقة باب الكعبة وأمسكها فأنشد يدعو الله تعالى قائلاً:

يا ربّ لا أرجو سواكا يا ربّ فامنع منهمو حماكا
إنَّ عدو البيت من عاداكا إنهم لن يقهروا قواكا

ثم خرج هو وقبيلته إلى شِعاب الجبال عند حراء بعيداً عن ميدان المعركة ينظرون ماذا سيحدث

لبيتهم العتيق، وقلوبهم تنفطر من الحزن، أما أبرهة فإنه انتظر حتى الصباح. ثم عبّأ جيشه، وهيّأ فيله الضخم، وهو مصمم على هدم البيت الحرام قبل أن يعود إلى اليمن. وقد هُيّءَ إليه أنَّ الأمر بسيط سهل. فالجيش قوي مجهز، والفيل ضخم جسور فما عليهم إلا أن يربطوا بناء البيت بالحبال المتينة، ثم يعلقوا أطرافها في صدر فيلهم، ويأمره سائسه «أنيْس»[1] بالانطلاق فينطلق، فيتهدم البيت والجيش محيط به يحميه.

وسار أبرهة وجيشه وفيله إلى حدود مكة، ثم وجّهوا الفيل إلى مكان الكعبة الشريفة.

عند ذلك تسلل نُفَيْل بن حبيب إلى جَنْبَ الفيل وهمس في أُذنه قائلاً: «ابركْ محمود، وارجع راشداً من حيث أتيت؛ فإنكَ في بلد الله الحرام»[2]. ثم خرج نفيْل دون أن يراه أحد وصعد الجبال وانتظر.

ورقد الفيل ولم يقم رغم محاولة الجيش معه،

---

(١) تفسير القرطبي جـ٣٠.

(٢) تفسير الطبري برواية: «الواقدي» في إسناده الصحيح.

وضربوه ضرباً شديداً على رأسه؛ وأدخلوا الأسياخ الحديدية في أذنيه فلم يقف.

فلما وجّهوه إلى اليمن قام «يهرول»[1]، فوجّهوه نحو الشام فاستجاب وجرى نحوها، وإلى الشرق فاندفع يسرع، فعادوا ووجّهوه إلى الكعبة فبرك راقداً ولم يتحرك.

ويئس الملك ومن معه من الفيل، فهمُّوا بالتوجّه إلى الكعبة لهدمها بالفؤوس والمعاول.

ولكنهم وقبل أن يتحركوا، فوجئوا بمجموعات كبيرة من الطير تأتي إليهم من جهة البحر وتنتشر فوقهم، فتحجب عنهم ضوء الشمس لكثرتها. وكان كل طائر يحمل ثلاثة أحجار صغيرة اثنان في مخلبيه، والثالث في منقاله، وعندما صارت الطيور فوقهم ألقَت عليهم الحجارة فأهلكت كل من أصابه منها.

ولم يهلكوا جميعاً في وقت واحد؛ بل إنَّ منهم من هلك سريعاً، ومنهم من صارت أعضاؤه

---

(١) يجري بسرعة.

تتساقط عضواً عضواً أثناء هربهم، ومنهم من نجا، وكانوا قلّة قليلة[1].

«وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط جسده أنملة أنملة حتى وصلوا به إلى صنعاء. فما مات حتى انفتح صدره وسقط قلبه»[2].

ورأى نفيل بن حبيب ما حدث لهم، وكانوا ينادونه ليدلّهم على الطريق إلى اليمن بعد أن طاش عقلهم من الخوف، فقال نفيل شعراً منه قوله:

حمدت الله إذ أبصرت طيراً وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم يسأل عن نفيل كان عليّ للحبشين ديناً

وهكذا حمى الله بيته العتيق، وأظهر معجزة للنبيّ محمد ﷺ قبل أن يُولد.

وقد قال ابن إسحاق: «لما ردَّ الله الحبشة عن مكة، عظّمت العرب قريشاً وقالوا: هُمْ أهل الله، قاتل الله عنهم، وكفاهم مؤونة عدوهم».

---

(١) تفسير القرطبي عن ابن إسحاق.
(٢) تفسير القرطبي.

وقد ورد في تفسير القرطبي: أنَّ رسول الله ﷺ عندما تلا سورة الفيل لما نزلت عليه، كان في مكة وقتئذ عدد كبير ممن شهد هذه الوقعة وقعة: «أصحاب الفيل».

وهكذا.. حفظ الله بيته، وحمى حماه، وهزم أعداءه وحده. وإلى لقاء آخر إن شاء الله.

أسئلة للمناقشة:

١ ـ كم سنة يُعمِّر الفيل؟

٢ ـ ما المواطن الأصلية للفيلة؟

٣ ـ كيف اشتركت الفيلة في القتال في عهد الفتوح الإسلامية؟

٤ ـ كيف استطاع المسلمون التغلب على الفيلة في معركة القادسية؟

٥ ـ ما اسم الفيل بطل قصتنا هذه؟

٦ ـ لماذا يرجم الحجاج قبر أبي رغال؟

٧ ـ هل اشترك الفيل محمود في هدم الكعبة؟ ولماذا؟

٨ ـ كيف حمى الله بيته المقدَّس من أبرهة وجيشه؟

٩ ـ صف الطير الأبابيل كما وردت في القرآن الكريم؟

١٠ ـ ماذا كانت نهاية أبرهة الأشرم؟

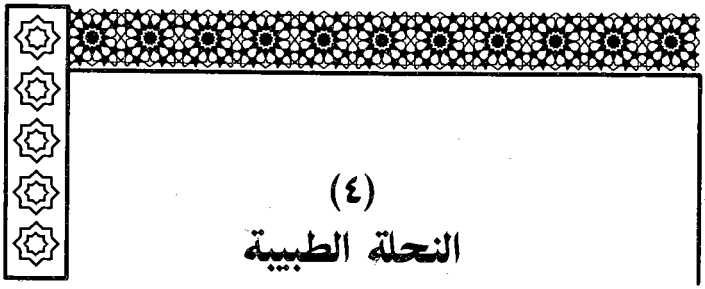

(٤)
النحلة الطبيبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[1] صدق الله العظيم.

أنا الطبيبة، أنا صانعة الدواء، تعالوا عندي، لتأخذوا دواءكم من صيدليتي، أجهزه لكم بنفسي فيشفيكم دوائي من المرض.

دوائي الذي أصنعه ليس مرّاً يضايق من

---

(١) من سورة النحل.

يشربه؛ ولكنه دواء حلو الطعم لذيذ المذاق، يحبّه كل من يتناوله، ويميل إليه كل من يتذوقه، وهو دواء متعدد الألوان، متنوع الرائحة. فيه رائحة الرياض، أو طعم الورد والرياحين، أو الياسمين أو أزهار الحدائق والبساتين.

أما ألوان دوائي فهي صافية جميلة: أبيض صاف، أو أحمر أو أصفر.

وشفاؤه مؤكد مضمون، ولا يحتاج المريض للحصول عليه إلى تذكرة دواء من طبيب، ولا يتعرض من يتناوله إلى ضعف أو خطر؛ فهو يُقَوِّي ويشفي، وينفع ولا يضر.

لا يقدر أي مخلوق غيري أن يصنع هذا الدواء، لأن سرّ صناعته عندي أنا وحدي. ولم يعلمني مخلوق كيفية تركيبه؛ فأنا لم أدخل مدرسة، ولم أدرس في جامعة رغم براعتي في صنع هذا الدواء الشافي.

لا تتعجبوا من هذا الكلام، ولا تقولوا كيف نصدق؟ هذه أحلام. لا. لست أحلم أو أكذب،

ولكني أقول الصدق، وأنطق بالحق.

فالذي علّمني صنعة هذا الدواء هو الخالق الأكبر حين خلقني وهداني بقدرته، وأرشدني بوحيه، وسهّل لي هذه الصنعة وأوحى لي بما يجب عليَّ أن أفعل.

خلق الله في جسمي مصنعاً عظيماً؛ فيه أجهزة دقيقة تصنع هذا الدواء، ثم أذن لي أن أمتص من كل الثمرات والأزهار عصيراً، لا يُنْقِصُ من الزهرة ولا يضرها، وأخلط هذا العصير في جسمي وتعمل أجهزتي، بقدرته سبحانه وتعالى في استحضار الدواء؛ فيخرج كاملاً دون زيادة أو نقصان، نقيّاً مفيداً، يتحدّى بنقائه وكماله أجهزة الإنسان. دون مختبر للتجارب، أو معمل مستورد من عند الأجانب.

هل عرفتم من أنا؟ طبعاً عرفتم الآن.

عرفتم أنني النحلة، ودوائي الذي أصنعه هو العسل.

فأنا مخلوقة صغيرة الحجم نشيطة الحركة، لا أتعب ولا أكسل ولا أتمارض ولا أهزل، وإنما أقوم

بعملي دون ملل وأقضي حياتي كلها في صنع العسل.

أوحى الله إليَّ بإلهام منه أن أصنع مسكني المنظّم، فصنعته سداسي الشكل، متين الجوانب؛ ثم سهَّل لي الطيران بأجنحتي الصغيرة، لأطوف في الوديان والحقول الكثيرة، أمتص رحيق الأزهار، وألعق من كل الثمار. وأعود إلى مسكني لأفرغ فيه كل ما صنعته، وأخزن فيه كل ما جمعته، ثم أعود مرّة ثانية، وأستمر رائحة آتية. وأقضي حياتي في هذا العمل دون تعب أو كلل.

لا أطلب منكم ثمناً لمجهودي، سوى أن تحترموا حدودي ووجودي، فلا يعتدي عليَّ إنسان، ولا يحاربني كائن من كان. فنحن معشر النحل لا نحبّ العدوان، ونتمنّى أن نعيش في أمان.

ولكن إذا اعتدى علينا أي إنسان، وقفنا أمامه وقفة الشجعان، وسلاحنا اللّسع بالزبان.

جنودنا يضحون بحياتهم في سبيل الدفاع

عن مملكتهم، وهم فدائيون في حروبهم، فاللّسعة الواحدة تكلّف النحلة حياتها، لأن زبانها متصل بأمعائها، فإذا غرسته في جسم عدوّها، ونزعت منه نفسها، خرجت معه كل أحشائها فتموت ميتة عظيمة، أو تعيش عيشة كريمة.

وقد كرَّمنا الله عزَّ وجل، فذكرنا في قرآنه، وخصّنا بسورة سمّيت باسمنا في فرقانه، وشرّفنا بوحيه وإلهامه.

ورسم لنا حياتنا، ووجهنا إلى طريقة عملنا.

أما إذا أردتم معرفة دولتنا، وترتيب حكومتنا، فنحن لا نختلف كثيراً عن دولتكم، وحكومتنا تشبه حكومتكم. لنا ملكة تحكمنا فنطيعها، ونحرسها ونصونها. والعمل مقسّم بيننا. فمنّا من يصنع الشمع، ومنّا من يعمل العسل، وبعضنا يبني البيوت والبعض الآخر يحضر الماء، ونحن أمة النحل مشهورون بالبكور، نستيقظ عندما يظهر النور، والمثل المشهور في تبكيرنا يقول: «فلان بكّر بكور اليعسوب»؛ واليعسوب هي النحلة الشغالة التي تمتص رحيق الأزهار

وتصبّه عسلاً حلواً في مخازننا طوال النهار.

والبعض منّا يرفرف بأجنحته ليجدّد هواء الخلية، ومنّا الجنود، ومنّا الذكور.

أعود بكم يا أحبابي إلى أهمية دوائي وترياقي.

فالعسل قد ذكره الله سبحانه وتعالى بأنَّ فيه شفاء للناس؛ وهو دواء معقم، لا تستطيع أي جرثومة أو حشرة أن تعيش فيه... وإذا أردت أن تتأكد من هذا عملياً فاملأ ملعقة من العسل وضع فيه أي حشرة كانت فتسجدها قد ماتت بعد قليل.

وهو دواء لكثير من الأمراض؛ وهو من الطب النبويّ الذي أوصى به رسول الله ﷺ.

نصَّ الحديث الشريف عن رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن**»[1].

---

(١) رواه ابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعاً.

وقد ورد اسم العسل في كتاب الله عندما ذكر أنهار الجنة، حيث قال سبحانه في ذلك: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾[1].

وفي حديث صحيح رواه البخاري ومسلم: أنَّ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ أخي استطلق[2] بطنه، فقال: «**اسقه عسلاً**» فذهب فسقاه عسلاً. ثم جاء فقال: يا رسول الله سقيته عسلاً فزاده استطلاقاً، قال: «**اذهب فاسقه عسلاً**» فذهب فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: يا رسول الله، ما زاده إلاَّ استطلاقاً، فقال رسول الله ﷺ: «**صدق الله وكذب بطن أخيك اذهب فاسقه عسلاً**» فذهب فسقاه عسلاً فبرىء[3].

وقد قال بعض علماء الطب النبويّ في شأن هذا المريض:

---

(١) محمد: ١٥.

(٢) استطلق بطنه أي: أصابه إسهال شديد.

(٣) برىء، أي: شفي.

كان هذا الرجل عنده فضلات ضارّة في بطنه فلما شرب العسل تحلّلت فأسرعت في الاندفاع فزاده ذلك إسهالاً، ثم سقاه فازداد التحلّل والدفع. وهكذا حتى خرجت الفضلات الضارّة كلها، ثم استمسك بطنه، وشُفي بإذن الله.

هل عرفتم أيها الأحباب كل شيء عني؟

أظنكم الآن تحبونني، ولا تخافون منّي. حقاً أنَّ لدغتي مؤلمة ولكنني لا ألسع إلا من يعتدي عليّ. فأنا لا أوذي إلاَّ من يؤذيني، ولا ألدغ إلاَّ من يحاول قتلي. لأن لدغتي تكلّفني حياتي كما ذكر لكم.

فكونوا أصدقاء لي، واتركوني أقوم بمهمتي في الحياة كما رسمها الله لي وألهمني بها. ولن أبدأ أحداً بالعدوان.

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

النحلة الطبيبة

أسئلة للمناقشة:

١ ـ ما الدواء الذي تصنعه النحلة؟

٢ ـ هل يستطيع أحد من البشر صنع العسل؟ لماذا؟

٣ ـ كيف يمكنك إثبات فعالية العسل في قتل الجراثيم والميكروبات؟

٤ ـ متى تصبح النحلة شرسة مؤذية للناس؟

٥ ـ كيف تكوّنت مملكة النحل، وما أسماء أفرادها؟

٦ ـ ما المرض الذي شفاه العسل في عهد رسول الله ﷺ؟

٧ ـ اذكر حديثاً شريفاً يؤكد شفاء العسل للأمراض؟

٨ ـ اذكر آية قرآنية ورد فيها أنَّ العسل فيه شفاء للناس؟

٩ ـ هل تحبّ العسل؟ ومتى نأكله؟

(٥)
النملة المؤمنة

هل تعرفون من أنا؟

نعم.. إنكم تعرفونني ولا شك.

أنا هذه المخلوقة الصغيرة التي تشاهدونها في الشقوق والجحور. أنا النملة واسمي هذا يدلّ على كثرة حركتي وسرعة خطوتي. فأنا دائماً مجدّة مجتهدة، أحب العمل، وأكره الكسل.

تعالوا معي لتسمعوا مني الأحاديث الجميلة، والقصص اللطيفة، فأعرّفكم أسراري، وأحكي لكم صفاتي وأخباري.

حقاً.. أنا صغيرة الحجم، ضئيلة الجسم، ولكني قوية السمع، عظيمة الشم، أشم رائحة

الأشياء من مسافات بعيدة، فأسرع إلى ما أحبّ منها من غير خطأ أو انحراف.

فإذا أردتم التأكد من صدق قولي، فألقوا جزءاً من طعامكم أو قليلاً من حلواكم قريباً من جدار الحديقة، أو في مدخل بيتكم؛ ثم راقبوا هذا المكان، فسوف ترونني أخرج إلى هذا الطعام أو الحلوى، لأحمله إلى بيتي.

فإذا عجزت عن حمله، ذهبت فاختفيت عن أعينكم قليلاً، ثم أعود ومعي إخوتي من النمال فنتعاون معاً ونحمله إلى بيوتنا، لنأكل منه، ونخزن ما بقى في مخازن لنا تحت الأرض.

ومخازن الطعام عندنا منظّمة مامونة، لا يفسد فيها طعام أبداً وذلك لأننا قد أعددناها إعداداً آمناً، فدرجة حرارتها مناسبة في الصيف والشتاء.

والواحدة منّا تستطيع أن تنقل ما يزيد على وزنها مائة مرّة.

فهل يستطيع أحدٌ منكم أن يحمل شيئاً بقدر وزنه مرّة أو مرّتين؟ لا.

فالله سبحانه وتعالى قد خصّنا بهذه البطولة.

ونحن معشر النمال أذكياء، نعرف الكثير من الأشياء، فالحبوب التي نخزنها في مخازننا نعالجها، فنقطعها أنصافاً أو أرباعاً، حتى نطمئن بأنها لن تنبت.

لنا لغة خاصة نتفاهم بها، وإشارات وحركات نلجأ لها، فنتكلم ونتشاور ونتناقش بها ونتحاور، لا يستطيع البشر فهمها ولا يمكنهم تفسيرها؛ ولكن الله سبحانه وتعالى خصَّ نبيّه سليمان بمعرفة لغتنا وسماع صوتنا وتفسير كلامنا.

واقرأ عنّا ما نزل في القرآن الكريم من قصة سليمان بن داود عليهما السلام الذي علّمه الله لغة الطير والحيوان في سورة سمّاها باسمنا، هي سورة النمل، حيث يقول سبحانه جلَّ شأنه فيها ما يفيد:

أنَّ نبيّ الله سليمان كان يمرّ بوادي اسمه: «السدير»[1] الذي يقع في الطائف مع جيشه الكبير وكنّا منتشرين في الوادي نروح ونغدو على الرمال

(١) تفسير الطبري.

لنملأ خزائن طعامنا قبل حلول البرد والمطر لننتفع بالمخزون وقت الشتاء أو الخطر.

وفجأة سمعنا صوت أختنا النملة «طاخية»[1] تحذرنا من الجيش الكبير وتطلب منّا الاختباء في جحورنا فلا تحطمنا أقدام سليمان وجيشه الذين لم يشعروا بنا ولم ينتبهوا إلى وجودنا.

فيقول سبحانه وتعالى في القصة القرآنية مشيراً إلى الحادثة:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا...﴾[2] وقد سمعها نبيّ الله سليمان من مسافة بعيدة مقدارها ثلاثة أميال[3] وابتسم ضاحكاً من قولها. وكان ضحكه عليه السلام ضحك المتعجب المسرور، وابتسامه ابتسام العبد الشكور، العارف بنعم الله عليه، السعيد بما أعطاه الله من قدرة على فهم لغة الحيوان والطير.

---

(١) تفسير القرطبي.

(٢) النمل: ١٨، ١٩.

(٣) تفسير القرطبي.

وأختنا النملة «طاخية» نملة مؤمنة صالحة، تعرف عدل سليمان وفضله وتؤكد عدم عدوانه وظلمه. فهي تقول لإخوتها: احذروا من أقدام سليمان وجنوده لأنهم لا يرونكم، ولا يشعرون بوجودكم.

وقولها هذا دليل على معرفتها بأن سليمان عليه السلام لا يقتل مخلوقاً إلا إذا كان عن طريق الخطأ والنسيان فتنفي عن سليمان الظلم المتعمد والخطأ المقصود.

ونحن معشر النمل، سعداء بذكر قصتنا في القرآن الكريم، وتسمية سورة من سوره باسمنا، وسماع نبيّ الله لصوتنا، وشكره للمولى سبحانه لمعرفته لغتنا وسماعه صوتنا من ثلاثة أميال[1] بعيداً عن وجودنا ونحن أيضاً سعداء. يقول الرسول محمد ﷺ في شأننا عن ابن عباس رضي الله عنه بإخراج أبي داود وتصحيح أبي محمد عبدالحق حيث قال: نهى النبيّ ﷺ عن قتل أربع من

(١) الميل: (١٧٦٠) ياردة ما يعادل كيلو متر ونصف تقريباً.

الدواب: الهدهد والصرد والنملة والنحلة.

وقصة أخرى وردت في النهي عن قتلنا أو حرقنا لأننا أمة تسبح ربّها وتؤمن به.

فقد ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «**قرصت نبياً من الأنبياء نملة، فأمر بقرية النمل فأحرقت. فأوحى الله إليه إنْ قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبّح ربها؟ فهلاّ نملة واحدة؟**»، وقد اتفق العلماء في شأننا على أننا أمة قوية، ذكية، شديدة الشم، تتخذ القرى، وتبني بيوتها بناء منظماً، فيها حجرات متعددة، حجرات للبيض وحجرات للصغار، ولنا ملكة تحكمنا حكماً عادلاً، ونحن نطيع حكامنا وننفذ أوامرهم ولنا جيش شجاع يدافع عن سيادتنا ويضحي بحياته في سبيل سلامة أمته.

ندّخر طعامنا في مخازن جيدة التهوية ونتصرف بذكاء فيما ادّخرناه، نشقّ الحَب نصفين حتى لا ينبت ونشقّ حب الكزبرة إلى أربع قطع، لأن الكزبرة تنبت إذا قسمت قطعتين ونحن نأكل نصف ما نجمعه وندّخر النصف الآخر للطوارىء والحاجة.

علّمنا الله هذه العلوم وأرشدنا إليها بقدرته العظيمة، نسبِّح له ونؤمن بوحدانيته، ونعبده ونشكره. ويستجيب الله دعاءنا، فقد ورد عن عبدالله بن زياد المدني قال:

أنبأنا ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«خرج نبيّ من الأنبياء بالناس يستسقون، فإذا هم بنملة رافعة رأسها إلى السماء، فقال ذلك النبيّ: ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذا النمل».

وفي رواية أخرى رواها مسعود بن كدام قال:

«خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي، فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول:

اللّهم إنّا خلق من خلقك، ليس بنا غنىً عن سقيك، فإما أن تسقينا وترزقنا، وإما أن تميتنا وتهلكنا. فقال: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم».

هل عرفتموني جيداً أيها الأحباب. أنا النملة المؤمنة، أعيش بينكم وأعبد الله وأسبّحه وأقدّسه، ولكنكم لا تعرفون لغتنا ولا تفهمون تسبيحنا،

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1].

النملة المؤمنة

(١) الإسراء: ٤٤.

أسئلة للمناقشة:

١ ـ بماذا اشتهر النمل؟

٢ ـ ما الدليل على أنَّ النملة أقوى من أي مخلوقٍ آخر؟

٣ ـ كيف يتصرف النمل في الحبوب التي يخزنها لطعامه؟ ولماذا؟

٤ ـ ما السرّ في قطع النمل بذرة الكزبرة أربعة أجزاء؟

٥ ـ صف مسكن النمل؟

٦ ـ اذكر حديثاً نبويّاً يوصي فيه الرسول ﷺ بعدم قتل النمل؟

٧ ـ ما الدليل على أنَّ نملة سليمان عليه السلام مؤمنة؟

٨ ـ كيف استسقت النملة لنفسها وللناس من الله؟

٩ ـ ما الآية القرآنية الكريمة التي تثبت أنَّ النمل يسبّح بحمد ربه؟

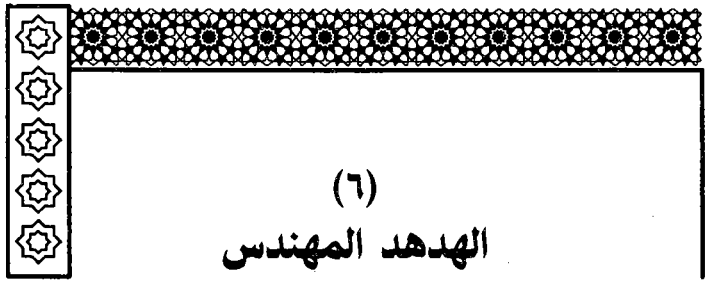

(٦)
الهدهد المهندس

هل تعرفون مهندساً له ريش ومنقار؟ وله تاج مزخرف من الريش على رأسه؟ ولم يتعلّم في كلية الهندسة، وليس معه شهادة جامعية تجيز له العمل كمهندس؟

أظنكم سوف تعجبون وتضحكون، وتقولون: لا يمكن أن يكون!.

ـ ولكني أنا المهندس الطائر، الذي يستطيع أن يقوم بعمل يعجز عنه كل مهندسي البشر.

نعم.. أنا «الهدهد».

أنا طائر خفيف الوزن، سريع الطيران، جميل الشكل، حادّ البصر، لي تاج على رأسي يميزني عن

بقية الطيور الصغيرة، تاج من الريش متعدد الألوان؛ أستطيع أن أنشره فيكون كالمروحة الجميلة ويمكنني أن أضمّه فيصير مدبباً من أعلى مثل القمع المقلوب.

ولكن لماذا أُسَمَّى الطائر المهندس؟ وما هو العمل الذي أقوم به ويعجز عنه كل البشر؟

الحقيقة أنَّ هذا اللقب قد وصفني به العلماء فقالوا عني: «الطائر المهندس»؛ وذلك لأنني أقوم بعمل عظيم. هذا العمل الكبير هو أنني أستطيع الكشف عن المياه الجوفية تحت سطح الأرض. وهبني الله سبحانه وتعالى إشعاعاً قوياً في عينيَّ، أستطيع بواسطة هذا الشعاع تحديد مسارب[1] المياه تحت سطح الأرض.

لا تتعجبون من هذه المقدرة العظيمة؛ ولا تقولون كيف ذلك؟

فليس هذا أمراً مستحيلاً، فأنتم تعلمون

---

(١) قنوات.

ولا شك أنَّ العلماء الآن استطاعوا أن يخترعوا أجهزة علمية لها إشعاعات خارقة تكشف عن أماكن البترول في أعماق الأرض.

والله سبحانه وتعالى هو الذي هداهم إلى اختراع هذه الأجهزة الدقيقة.

وكذلك بالنسبة لي؛ فإن الله جلَّ وعلا هو الذي زودني بهذه الموهبة منذ خلقني.

وسوف أقصّ عليكم قصتي مع نبيّ الله سليمان عليه السلام، فلي معه قصة عظيمة ورد[1] ذكرها في القرآن الكريم في سورة النمل. وبعد القصة عليكم أن تحكموا على قدراتي، وتعرفوا منها عظيم إمكاناتي.

كنت بالنسبة لسليمان بن داود عليهما السلام، مهندساً أدلّه على مواضع الماء تحت الأرض؛ فأخبره عن مكانها وعن عمقها فيختار المكان الذي يستطيع أن يحصل منه على الماء بأقل جهد؛ ثم

---

(١) جاء.

يكلّف جنوده من الجن فيحفروا في الأماكن التي يكون فيها الماء قريباً من سطح الأرض ليشرب هو وجنوده منها، واسمعوا تفسير «عبدالله بن سلام»[1] للآية الكريمة: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾[2] حيث يقول رضي الله عنه: «إنما طلب سليمان الهدهد لأنه احتاج إلى معرفة الماء، على كم هو من وجه الأرض؟ فقد كان في مكان بالصحراء التي انعدم فيها الماء وأنَّ الهدهد كان يرى باطن الأرض وظاهرها. فكان يخبر سليمان بموضع الماء، ثم كانت الجن تخرجه في ساعات يسيرة»[3].

نعود لقصتي مع سليمان بن داود نبيّ الله، الذي وهبه الله معرفة لغة الطيور والحيوان.

عندما بحث عني نبيّ الله لأقوم بمهمتي ولم يجدني، هدَّد وتوَّعد بأنه إما أن يعذبني عذاباً

---

(١) أحد صحابةِ الرسول محمد ﷺ.

(٢) النمل: ٢٠.

(٣) تفسير القرطبي جـ٧.

شديداً، أو يذبحني، أو أقدّم له عذراً مقبولاً صادقاً عن سبب غيابي.

وجئت بعد قليل لأخبره عليه السلام عمّا شاهدته في أرض سبأ باليمن.

قلت له: يا نبيّ الله لقد عرفت شيئاً لم تعرفه أنت ولا جنودك، عرفته معرفة مؤكدة.

فسألني: ما هو هذا الشيء؟ فأخبرته بأنني رأيت ملكة في مدينة مأرب باليمن، تحكم شعباً يخضع لها ويطيعها طاعة كاملة.

ولها مجلس شورى لمملكتها، عدد رجاله ثلاثمائة واثنا عشر رجلاً، وكل رجل منهم يمثّل عشرة آلاف من عامة الشعب.

وأرض مأرب هذه تقع على بعد ثلاثة أميال من مدينة (صنعاء) الحالية[1].

وهذه المملكة التي تحكمها ملكة غنية،

---

(١) تفسير ابن كثير، المجلد الثاني ص٦٦٩.

فيها من الخيرات الكثير، والملكة لها عرش هائل مزخرف بالذهب واللآلىء، وقصرها الذي تعيش فيه قصر واسع كبير، فيه ثلاثمائة وستون نافذة من الشرق، وثلاثمائة وستون نافذة أخرى من الغرب.

تشرق الشمس كل يوم فتدخل أشعتها من نافذة شرقية؛ وعندما تغرب تدخل من نافذة غربية، فتسجد الملكة وشعبها للشمس كل يوم صباحاً ومساءً من دون الله. كفروا بالله سبحانه وتعالى وتركوا عبادته؛ وهو القدير العليم الذي يعلم ما في السماوات والأرض، ويخرج النبات من الأرض لينتفع به الناس والحيوان.

فردَّ عليّ سليمان عليه السلام قائلاً: أيها الهدهد، سوف أتأكد إن كنت صادقاً في قصتك أم كاذباً.

خذ هذه الرسالة وألقها إلى هذه الملكة، ثم اختبىء قريباً منهم لتسمع تعليقهم وحوارهم عندما يقرأونها، ثم تعالى فأخبرني بخبرهم.

أتعرفون ماذا حدث للملكة «بلقيس بنت شرحبيل»[1]، ملكة سبأ، عندما قرأت الرسالة التي ألقيتها واختبأت قريباً منها؟

لقد أصابها العجب والفزع، واستدعت مجلس استشارتها وسمعتها تقرأ عليهم رسالة سليمان عليه السلام.

قرأت فيها: «بسم الله الرحمٰن الرحيم.. آمركم أن تأتوا إليَّ خاضعين مسلمين مؤمنين بالله. والتوقيع: سليمان بن داود نبيّ الله ورسوله»، ثم طلبت بلقيس من مجلس مملكتها أن يشيروا عليها.

ولكن رجالها قالوا لها: إنَّنا أصحاب قوة وشدة وشجاعة، ولا نعرف إلا الحرب، أما السياسة فأنت صاحبة الرأي فيها، وعليك أن تأمرينا فنطيع.

ففكرت بلقيس قليلاً ثم قالت: إنَّ الملوك إذا

---

(١) تفسير القرطبي جـ٧.

دخلوا قرية بالقوة أفسدوها وأذلوا أهلها ونشروا الخراب فيها.

أما إذا كان نبيّاً كما يدَّعي، فإنه يكون على حق ويجب علينا أن نتبعه وسوف أجري عليه اختباراً لأعرف هل هو ملك يحبّ متاع الدنيا، أو نبيّ يدعو إلى الحق.

فسألها قومها: وكيف ذلك؟

فقالت لهم: سوف أرسل له هدية غالية نادرة، فإن قبلها كان ملكاً. وعندئذٍ إما أن نقاتله أو نرسل له كل عام مبلغاً كبيراً من المال والذهب واللؤلؤ، فينصرف عنّا ويتركنا في حالنا.

فإذا رفض الهدية الثمينة كان نبيّاً؛ وعلينا إذن أن نتبعه ونطيعه.

وأعدت بَلْقيس هدايا غالية؛ يعجز اللّسان عن وصفها، وكلّفت رجلاً من أشراف قومها هو «المنذر بن عمر» ومعه رجال أذكياء بتوصيل الهدايا لسليمان[1].

---

(١) تفسير الطبري جـ٧.

وعدت إلى نبيّ الله وأخبرته بما حدث..

فلما جاؤوا إليه بهداياهم أعرض عنها ولم ينظر إليها. وقال لهم: أتقدّمون لي مالاً وذهباً ولآلىء تافهة؛ إنَّ الله أعطاني أكثر وأعظم منها، وقد ذكر الله ردّه عليهم في القرآن الكريم فقال عن لسان سليمان: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1].

وهددهم بأنه سوف يهجم عليهم بجيش كبير لا يستطيعون مقاومته ويخرجهم من بلدهم أذلاء مهانين.

وعاد رجال بلقيس إليها بالهدايا وأخبروها برد سليمان عليهم وتهديده لهم.

فاستسلمت لسليمان عليه السلام، وسارت إليه هي وجنودها ورجال دولتها خاضعين، مؤمنين بنبوّته

---

(١) سورة النمل.

ورسالته؛ وكان معها اثنا عشر ألفاً من شعبها.

وأرسل نبيّ الله سليمان الجن تراقب سيرها، فلما عرف أنهم اقتربوا من مملكته التي كانت وقتئذ في القدس.

جمع الجن والإنس وقال لهم: من منكم يستطيع أن يحمل عرشها من سبأ ويحضره هنا قبل وصولهم إلى القدس؟

فتقدَّم عفريت من الجن[1] وأخبره بأنه قادر على حمل العرش وإحضاره إليه قبل نهاية مجلسه الذي يستمر انعقاده عدة ساعات.

ولكن سليمان عليه السلام طلب أن يُحْضَرَ إليه العرش قبل ذلك.

فتقدَّم أحد المؤمنين من أتباعه ويسمى: «آصف بن برخياء»[2] وأبدى[3] استعداده بأن ينقل له

---

(١) مارد من الجن قوي ضخم.

(٢) تفسير الطبري والقرطبي وابن كثير.

(٣) أظهر.

العرش قبل أن يغمض عينيه، ثم توضأ ودعا الله باسمه الأعظم وقال:

«يا ذا الجلال والإكرام، يا إلهنا وإلٰه كل شيء إلٰهاً واحداً، لا إلٰه إلا أنت آتني بعرشها»[1].

فانتقل عرشها بين يدي سليمان بقدرة الله، وقبل أن يرتد إليه طرفه.

فطلب نبيّ الله من أعوانه أن يغيّروا في العرش بعض صفاته، فزادوا فيه وأنقصوا منه وغيّروا بعض الألوان فيه، ثم طلب منهم بناء قصر عظيم من الزجاج القوي الشفاف فوق الماء بحيث يهيأ لمن ينظر إلى أرضه أنها ماء.

وحضرت بلقيس فعرض عليها عرشها؛ وسألها: هل هذا مثل عرشك؟ فقالت: كأنه هو، ثم بيّنت له تصديقها بنبوّته وإسلامها لله ربّ العالمين.

---

(١) تفسير القرطبي جـ٧.

ثم طلب منها أن تدخل القصر فحسبته ماء فجمعت ملابسها ورفعَتها خوفاً عليها من البلل؛ فابتسم عليه السلام وبيّن لها أنَّ الأرض من زجاج شفاف وليست ماء.

وكان قصد سليمان من ذلك أن ترى عظمة ما وهبه الله من قوة كبيرة، وملك عظيم، فاعترفت بذلك وندمت على عبادتها للشمس؛ وحُسن إسلامها.

هذه قصتي مع نبيّ الله سليمان عليه السلام.

وكان لي شرف المشاركة له في هذه الأحداث التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.

هل عرفتم الآن دوري في أحداث قصة إسلام بلقيس بنت شرحبيل، ملكة سبأ؟

وهل عرفتم لماذا يسميني العلماء الطائر المهندس؟

الهدهد المهندس

أسئلة للمناقشة:

١ ـ لماذا أطلق العلماء على الهدهد لقب «المهندس»؟

٢ ـ صف الهدهد.

٣ ـ كيف يستطيع الهدهد الكشف عن مسارب المياه تحت سطح الأرض؟

٤ ـ في أي سورة قرآنية وردت قصة الهدهد مع نبيّ الله سليمان؟

٥ ـ هل كان الهدهد معذوراً في غيابه عن سيده سليمان؟ وكيف؟

٦ ـ أين كانت تسكن بلقيس؟ وماذا كانت تعبد هي وقومها؟

٧ ـ من استطاع أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن لفلسطين؟

٨ ـ لماذا رفض نبيّ الله سليمان هدايا بلقيس؟

٩ ـ كيف بنى سليمان عليه السلام القصر الذي استقبل فيه ملكة سبأ؟

١٠ ـ لماذا أسلمت بلقيس؟

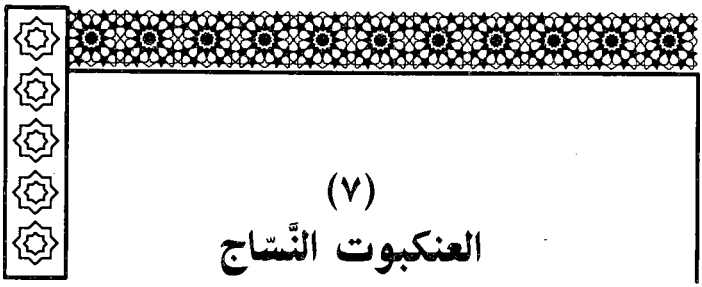

(٧)
العنكبوت النَّسّاج

هل تعرفون حيواناً صغيراً ينسج شباكاً من الخيوط، يصنع منها بيتاً يعيش فيه، ويتخذ منها مصيدة تمسك له ما يأكله وما يعيش عليه؟

وهو لا يحتاج في غزل هذه الخيوط التي ينسج منها شباكاً إلى مادة يأتي بها من بعيد أو قريب؟ لأن هذه الخيوط ليست مغزولة من القطن أو الكتّان أو الوبر.

ولكنه يصنع هذه الخيوط في جسمه الصغير؛ ثم يقوم بنسجها على مساحات واسعة.. هل تعرفونني؟

إنني أنا هذا الحيوان الصغير وأسمّى: «العنكبوت».

فأنا حشرة صغيرة، أعيش في الأماكن التي يهمل أصحابها نظافتها؛ أُخرج من غدة في مؤخرتي سائلاً مطاطاً إذا لامسه الهواء جفّ وتحوّل إلى خيط رفيع، أسير عليه دون أن ينقطع، فأمده بين زوايا الجدران وبين الأغصان خيوطاً مستقيمة، أمدّه أفقياً، ثم أعاود مدّه رأسياً، فيصبح شبكة متقنة منظمة متماسكة، تشبه شبكة صياد السمك؛ ولكنها تختلف عن شبكة الصياد، في أنها ذات خيوط رفيعة لا يستطيع الإنسان رؤيتها بسهولة، إلا إذا دقّق النظر جيداً، كما أنَّ هذه الخيوط تحتوي على نوع من المخدر السريع الذي يؤثر على قوة الحشرات الصغيرة التي تقع فيها وهي طائرة كالذباب والناموس والزبابير الصغيرة، فتصبح مقاومتها ضعيفة، وكلما حاولت الحشرة التخلص من هذه الخيوط اشتبكت بأرجلها خيوط أخرى، هكذا حتى تصبح أسيرة تماماً، فتضعف مقاومتها وتستسلم، عند ذلك أُسرع إليها وأمتصها هنيئاً مريئاً.

ونحن معشر العناكب من الحيوانات الصغيرة التي تلد ولا تبيض. والإناث منّا هي التي تصنع البيوت، والشِّباك. أما الذكور الكبيرة، فمهمتها أن تأكل؛ وتعيش في البيوت فقط، ثم تقوم بعد ذلك بهدم البيوت وتقطيع الشِّباك، وتعود الإناث والصغار لبناء البيوت والشِّباك مرّة ثانية، وهكذا.

وعندما تحمل الأنثى، ويأتي موعد ولادتها؛ فإن بطنها تنشق عن صغارها؛ ثم لا تلبث أن تموت وتترك صغارها ذكوراً وإناثاً يقومون بمهمتها، فالصغار منذ ولادتهم قادرون على مدّ الخيوط وصنع الشِّباك. فإذا كبر الذكر صار كسولاً. ونحن أجناس متعددة، وأصناف مختلفة، فمنّا العناكب السوداء، ومنّا العناكب الرمادية، ومنّا نوع من العناكب تسمى: «الفهود»، والعناكب السوداء شرسة عدوانية تلدغ أي حيوان، تمشي على جلده لدغة مؤلمة سامة؛ والأنثى السوداء قاسية عدوانية تحبّ نفسها أكثر من أي شيء. فلا تترك ذكرها يعيش بعد حملها بصغارها؛ فإذا

شعرت بأنها حملت، لدغت ذكرها لدغة سامة يموت على أثرها.

وذلك لأنها تعلم أنها سوف تفارق الحياة بعد أن تلد مباشرة، ولا تحب أن تترك زوجها يعيش بعدها.

ولذلك تسمى: «الأرملة السوداء».

والعناكب الرمادية ذوات الأرجل الطويلة لا تلدغ ولكنها تمتص فريستها. وهذا النوع من أكثر العناكب انتشاراً. والعناكب الفهود واحدها يسمى: «الليث»، وهذا النوع متخصص في صيد الذباب الطائر بدقة ومهارة وسعة حيلة. وطريقته في صيد الذباب الطائر تدلّ على ذكاء كبير، فهو يلتصق بالأرض ساكناً لا يتحرك؛ فإذا شاهد ذباباً يطير قريباً من الأرض سكنت أطرافه وتَحَفَّزَ منتظراً الفرصة ثم يقفز على الذباب قفزة بارعة لا تخطىء.

وهناك نوع من العناكب موجود بالغابات الحارة، إذا مشى على جلد الإنسان سممه.

وإذا أردت أن ترانا، فما عليك إلا أن تذهب

إلى بيت من البيوت المهملة المهجورة التي لم ينظفها أحد ثم انظر إلى زوايا الجدران والسقوف، فسوف ترى بيوتنا الشبكية ومصائدنا الخيطية وقد تعلق بها الغبار وبقايا الحشرات الطائرة.

ولذلك فنحن لا نعيش في البيوت النظيفة التي يداوم أصحابها على نظافتها وتطهيرها.

وقد أوصى النبيّ ﷺ المسلمين بتطهير البيوت منّا؛ فقال: «**طهّروا بيوتكم من نسيج العنكبوت؛ فإن تركه في البيوت يورث الفقر**»[1].

والتخلص منّا سهل بسيط، وهدم بيوتنا وإزالتها أمر ميسور؛ فالمبيدات الحشرية تقضي علينا بسرعة، وإزالة بيوتنا ونسيجنا لا يكلّف جهداً، فبيوتنا ضعيفة واهية لا تتحمل دفعة صغيرة من مكنسة أو عصا. وعندئذ تنهار وتنهدم؛ وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ضعف بيوتنا في كتابه الكريم؛ فقال في سورة من سور القرآن الكريم سمّاها باسمنا هي «سورة العنكبوت».

---

(١) صحيح مسلم في رواية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

فضرب الله جلَّ وعلا مثلاً لضعف الآلهة التي يعبدها الكفار من دون الله فشبههم ببيوتنا الضعيفة الواهية.

وقد شرّفنا الله سبحانه وتعالى بأن ألهمنا بعملين عظيمين في تاريخ الأنبياء:

أولهما: حين أوحى إلينا بأن ننسج نسيجنا لإخفاء نبيّ الله داود عليه السلام عندما كان يحاول جالوت قتله[1].

والثاني: عندما قمنا بنسج خيوطنا على مدخل غار ثور بمكة المكرَّمة، لتضليل كفار قريش عندما كانوا يبحثون عن رسول الله محمد ﷺ، أثناء الهجرة الشريفة، وكان عليه الصلاة والسلام مختبئاً

(١) تفسير القرطبي.

هو وصاحبه أبو بكر الصِّديق في داخل الغار. فلما أراد الكفار دخول الغار للبحث عنهما وجدوا خيوطنا قد سدَّت مدخل الغار؛ فظنوا أنَّ الرسول وصاحبه لم يدخلوه؛ فعادوا خائبين.

ولنا في ذلك شرف التسخير والإلهام من المولى سبحانه وتعالى حيث سخرنا في تنفيذ إرادته، فسبحانه جلَّ وعز القوي القدير.

العنكبوت النَّسّاج

أسئلة للمناقشة:

١ ـ كيف يصنع العنكبوت نسيجه؟ ومن أي مادة؟ ومن أي مكان بجسمه؟

٢ ـ لماذا يجب علينا أن ننظف بيوتنا من العنكبوت وخيوطه؟

٣ ـ ماذا تأكل العناكب؟

٤ ـ اذكر نوعين من أنواع العناكب؟

٥ ـ لماذا تسمى امرأة العنكبوت الأسود «الأرملة السوداء»؟

٦ ـ اذكر حديثاً نبويّاً يوصي بتطهير البيوت من العناكب؟

٧ ـ أين ورد ذكر العنكبوت في القرآن الكريم؟

٨ ـ اذكر العملين العظيمين الذين قام بهما العنكبوت في تاريخ الأنبياء؟

٩ ـ لماذا لم يستطع الكفار كشف رسول الله داخل غار ثور؟

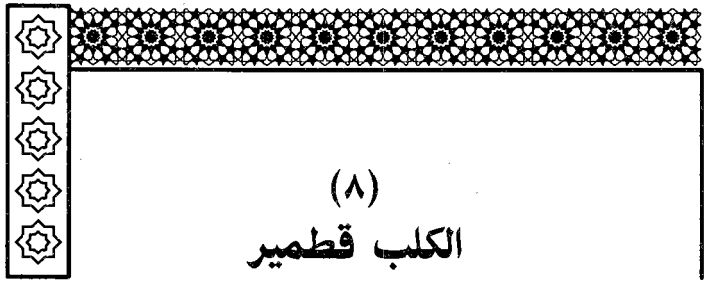

(٨)
الكلب قطمير

أيها التلميذ المسلم، أيتها التلميذة المسلمة...

هل تحبّون الكلاب؟ وهل تربّون كلباً في بيتكم؟ تطعمونه وتسقونه، وتصحبونه معكم؟

أم أنكم تخافون من الكلاب ولا تحبونها؟ وتكرهونها وتستقذرونها؟ أم أنكم متحيرون في هذا الأمر، تتساءلون.

هل يليق بالمسلم أن يصحب الكلب ويعاشره؟ ويتصل به دائماً ويواصله؟ ويتخذه صديقاً؟ ويعتبره صاحباً ورفيقاً؟ ويقضي أغلب أوقاته معه ويسير معه ويتبعه؟

أم أنَّ الإسلام ينهي عن هذه الصحبة؟ ويأمرنا بالابتعاد عن هذه الرفقة؟

تعالوا لنعرف معاً رأي الدِّين؛ وسوف يدلّنا على الخبر اليقين ويرشدنا إلى الطريق الأمين.

فوائد الكلاب

الكلاب من الحيوانات الأليفة، والمخلوقات اللطيفة، لها فوائد كثيرة ومنافع وفيرة، مشهورة بالذكاء، معروفة بالوفاء، يسهل على الإنسان تعليمها، ويستطيع تدريبها وتوجيهها، خصّها الله بقوة شم عظيمة، تستطيع بها كشف الجريمة؛ فاتخذها رجال الشرطة عوناً لهم، بعد تدريبها على تتبع الآثار، ليكشفوا بواسطتها الجرائم ويعرفوا الأسرار. وسميّت هذه الكلاب: «كلاب الشرطة».

والنوع الثاني منها: كلاب الحراسة؛ يربيها الناس لحراسة البيوت والحقول، وحماية الأغنام من الذئاب والوحوش.

والنوع الثالث منها: ما دربه الصيادون على الصيد، يأخذونها معهم لتعاونهم وتنفعهم، فتحضر لصاحبها الصياد ما أصابه من الطيور والحيوان مهما بَعُدَ عنه الموقع والمكان، بشرط ألا يأكل الكلب من الصيد مهما كان جوعان.

وهناك نوع آخر من الكلاب صغيرة الجسم

جميلة الشكل، يربيها الناس للزينة، ويصحبونها معهم في كل مكان.

ونوع غير ذلك هو الكلب القائد الذي يقود الأعمى إلى المسار الصحيح، ويبعده عن أخطار الطريق، ويوصله إلى منزله أو عمله.

وكلب الصيد الذي ذكرناه جاء ذكره في القرآن الكريم، ويبيّن الله أنه يباح للصياد أن يأكل من صيده الذي أحضره له كلبه بشرط ألا يأكل الكلب منه. ويذكر عند إطلاقه اسم الله على صيده.

فقال تعالى في سورة المائدة:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ[1] تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾[2].

وقد قال رسول الله ﷺ لأحد صحابته وهو «عدي بن حاتم»: **«إذا أرسلت كلبك المعلَّم وذكرت**

---

(١) مكلبين: مُعَلِّمينَ مُدَرَّبينَ.

(٢) المائدة: ٤.

اسم الله، فكل مما أمسك عليك»[1]. هل عرفت الآن فوائد الكلاب؟

كلاب الشرطة، كلاب الحراسة، كلاب الصيد، كلاب الزينة، كلاب القيادة.

نعود الآن إلى رأي الدِّين في صحبة الكلاب وكيف تربّى؟ وأين؟ هل تربّى الكلاب في بيوتنا وأماكن معيشتنا؟ لا...

الإسلام ينهى عن ذلك؛ وقد قال ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً به كلب أو صور**»[2].

فأين تربّى الكلاب إذن؟ ولماذا؟

يباح للمسلم أن يربي كلاباً للصيد أو الحراسة؛ على أن يخصص لها مكاناً خارج البيت؛ كحظيرة أو غرفة خاصة بعيدة عن المسكن بحيث لا يعايش السكان، أو يختلط بهم في البيت.

والسبب في ذلك أمران هامان:

---

(١) صحيح مسلم.

(٢) رواه البخاري.

أولهما: إنَّ لعاب[1] الكلب نجس شرعاً؛ فلو أصاب جسم الإنسان أو ملابسه فإن صلاته تصبح باطلة.

والأمر الثاني: إنَّ الكلاب معرضة للإصابة بمرض معدٍ خطير، هو ما يسميه الأطباء: «مرض الكلب»؛ وهو نوع من الجنون يصيب الكلاب فتصبح شرسة خطيرة تعض كل من يقترب منها. وتنتقل عدوى هذا المرض لمن تعضه هذه الكلاب المريضة. وهذا المرض إذا انتقل إلى الإنسان فإنه يصبح بعد فترة زمنية قصيرة مجنوناً يصدر أصواتاً مثل أصوات الكلاب؛ ويعض كل من يقترب منه ثم يموت فينتشر المرض بين الناس. وجرثومة هذا المرض تكون في لعاب الكلب المصاب وأنيابه. ومن أجل ذلك أمر رسول الله ﷺ المسلمين بأن يغسلوا أي إناء يشرب منه الكلب، أو يأكل فيه سبع مرات واحدة منها بالتراب؛ فقال: «**إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم، فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب**»[2].

---

(١) ريقه.

(٢) رواه مسلم والبخاري بسند صحيح.

والآن سوف أقصّ عليكم قصة كلب كرَّمه الله سبحانه وتعالى أعظم تكريم فذكره في كتابه الحكيم، ذلك لأنه صحب جماعة من المؤمنين. هذا الكلب هو «الكلب قطمير» وقصته مع أهل الكهف.

فهيا بنا نعرف هذه القصة الكريمة التي حدثت في العصور القديمة. كان ذلك بعد أن رُفع عيسى عليه السلام.

والمكان مدينة من مدن الروم كان اسمها: «أفسوس»[1]، وكان ملكها كافراً يسمى: «الملك دقيانوس»[2].

كان ذلك الملك وأهل المدينة يعبدون الأصنام والأوثان ويقيمون لها معابد في كل مكان، ويقدمون لها كل يوم قرباناً[3].

وكل من يعبد غيرها من الناس يُعرِّض نفسه للتعذيب والقتل بواسطة الحرّاس. ولكن سبعة من

---

(١)(٢) تفسير القرطبي وابن كثير.

(٣) ذبائح وهدايا للأصنام.

شباب المدينة هداهم الله إلى الديانة القويمة؛ فتركوا عبادة الأصنام، ولزموا عبادة المولى الديَّان على دين عيسى عليه السلام، واتخذوا لهم في السرّ معبداً بعيداً عن القوم يعبدون الله فيه كل يوم.

وعلم الملك بأمرهم، فأرسل في طلبهم، وأخبرهم بأنه عرف خبرهم وشدَّد عليهم التعذيب، وعرضهم للتهديد والوعيد، وأعطاهم مهلة ليتدبروا أمرهم ويتركوا دينهم وإلا فالموت هو مصيرهم.

وخرج الشباب إلى مكانٍ بعيد يفكرون في هذا الوعيد.

وبعد حوار دار بينهم، اتفقوا أن يفروا بدينهم، ويتركوا المدينة في غفلة من أهلها ويسيروا في طريق طويل، وتبعهم كلبهم المسمى: «قطمير».

وخافوا أن يكشف الكلب أمرهم، وحاولوا أن يرجعوه من ورائهم؛ وهددوه بعصيهم، وصاحوا فيه بأعلا أصواتهم، فاختفي من ورائهم، ثم شاهدوه بعد ذلك يتبع آثارهم.

ولما يئسوا منه تركوه يتبعهم، وقالوا: لعله

يفيدهم وينفعهم؛ واستمروا في طريقهم، حتى ابتعدوا كثيراً عن ديارهم. وأخيراً وجدوا كهفاً في جبل، فدخلوا فيه على عجل، بعد أن أتعبهم السير والوجل[1]. فناموا في الكهف ونام الكلب أمامه، وقد مدَّ ذراعيه قدامه.

واستمروا في النوم سنين عديدة، وصلت إلى ثلاثمائة عام وتسع مديدة. وطال شعرهم، ونَمَت أظفارهم، فأصبح منظرهم مخيفاً يلقي الرعب في النفوس.

وكتب الله لهم السلامة، وبعثهم كبعث يوم القيامة، فقاموا من نومهم جائعين، ينظرون حولهم خائفين، وتساءلوا فيما بينهم كم من الوقت مرَّ عليهم في نومهم؛ وقالوا لبعضهم: لقد مرَّ علينا يوم أو بعض يوم. ولشدة ظلام الكهف لم يَرَ بعضهم البعض وبسبب جوعهم، أرسلوا أحدهم، ليشتري لهم طعاماً من المدينة وأوصوه بأن يتنكر، ولا يُظهر نفسه، حتى لا ينكشف أمرهم، وأعطوه ما معهم من عملة فضيّة.

---

(١) الخوف.

وخرج صاحبهم يتلصص متخفياً حتى وصل إلى أفسوس وهو يتخيل أن ملكها لا زال دقيانوس.

وعندما وصل إلى (مشارف[1] المدينة) أصابه العجب؛ فقد تغيرت مبانيها ولم يتعرّف على أحد من ساكنيها.

وأخيراً وجد بائعاً فأعطاه ما معه من النقود، وطلب منه كمية من الطعام، ولكن صاحب الدكان تظر إلى النقود في عجب وناولها لأصحابه فاندهشوا جميعاً وسألوه وهم في شك من أمره: من أين أتيت بهذه النقود القديمة؟ هل عثرت على كنز؟ أم أنت غريب عن هذه البلاد؟ فأخبرهم بأنه من أبناء مدينة أفسوس التي يحكمها «دقيانوس». فاتهموه بالجنون، وقبضوا عليه، وساقوه إلى ملكهم. فلما رآه قال له: لست الملك؛ فإن ملك أفسوس هو دقيانوس، وكان الملك مؤمناً صالحاً يسمى: (بندوسيس)[2].

---

(١) أطراف المدينة.

(٢) تفسير القرطبي.

فسأله الملك عن قصته، فأخبره بما حدث لهم، وكيف هربوا من ظلم ملكهم بالأمس القريب.

وكان هناك رجل كبير السنّ عند الملك فأخبره بأن جده قصَّ عليه قصة: ﴿فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ هربوا من أفسوس في عهد الملك دقيانوس.

فصحبوه جميعاً إلى مكان إخوانه؛ ودخلوا الكهف وسلّموا عليهم وقد امتلأت قلوب القوم بالفرح والتأثر، ثم عاد أهل الكهف السبعة وكلبهم إلى مضاجعهم. وتوفاهم الله عزَّ وجل، بعد أن حقق الله بهم معجزة البعث في الدنيا، وظهر للناس أنَّ الله سبحانه قادر على بعث الناس يوم القيامة روحاً وجسداً.

وأمر الملك بأن يبنى عليهم جداراً يسدّ عليهم الكهف، وأشار عليه شعبه بأن يتخذ من هذا المكان مسجداً للصلاة، تعظيماً لإيمان أهل الكهف.

ابني المسلم، ابنتي المسلمة.. هل عرفتم الآن قصة: «الكلب قطمير» الذي كرّمه الله؛ فذكره

في أربع آيات بيّنات من سورة الكهف لأنه صحب المؤمنين الأخيار «أهل الكهف».

نسأل الله جلَّ وعلا أن يحشرنا مع الأنبياء والمرسلين والأبرار والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.

أسئلة للمناقشة:

١ ـ ما فوائد الكلاب؟

٢ ـ ما حكم تربية الكلاب في الإسلام؟

٣ ـ لماذا اشتهرت الكلاب بالكشف عن الجريمة؟

٤ ـ ما أنواع الكلاب؟

٥ ـ لماذا لا يبيح الإسلام تربية الكلاب في البيوت والشقق؟

٦ ـ اذكر حديثاً يؤكد خطورة لعاب الكلب.

٧ ـ ورد اسم الكلب في سورة قرآنية كريمة، ما هي؟

٨ ـ ما دور الكلب قطمير مع أهل الكهف؟

٩ ـ لماذا ترك الفتية قرية أفسوس هاربين؟

١٠ ـ كم عاماً مرّت عليهم وهم نائمون في الكهف؟

١١ ـ ما الحكمة الإلٰهية في حادثة أهل الكهف؟

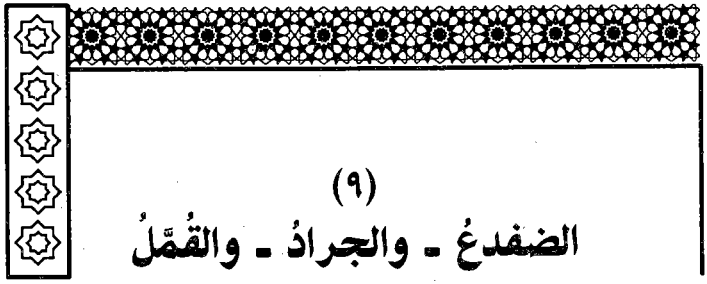

(٩)
الضفدعُ ـ والجرادُ ـ والقُمَّلُ

أيها التلميذ النجيب، أيتها التلميذة الذكية، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته. لا بد وأنكم تعرفون عني شيئاً، تعرفون على الأقلّ اسمي.

أنا الضفدغ...

إذا كنتم من أهل الريف، أو زرتم إحدى القرى صيفاً، فلا بد وأنكم سمعتموني أنا وإخواني الضفادع، سمعتم صوتنا. ونحن في مياه الترع أو القنوات، تصدر أصواتنا في المياه بصورة جماعية، لنا قائد يفتتح لنا (النقيق)[١] (فلا نلبث)[٢] أن نتبعه

---

(١) صوت الضفادع.

(٢) لا ننتظر.

بأصواتنا الجماعية ذات (الترديد)[1] المنظّم. فكأننا نُنشد نشيداً له لحن واحد لا يتغير.

سوف أعرّفكم الآن بنفسي، وحياتي ومقدار حرصي.

أنا حيوان صغير خلقه الله سبحانه وتعالى «برمائي». أي: أنني أعيش في الماء كما أنني أستطيع أن أعيش على الشواطىء والبر، ولكنني لا أستطيع أن أصيح إلا إذا كنت في الماء.

وقد تسألون أنفسكم الآن، ترى ما شكل الضفادع؟ وما لونها؟ وكيف تعيش؟ وكيف تتناسل؟

وأجيبكم عن هذه الأسئلة فأقول:

إننا مخلوقات ذات شكل «دميم»[2] عيوننا بارزة في وجوهنا، و«أفواهنا»[3] واسعة تصل فتحتها إلى آذاننا، ولنا أربعة أطراف هي أرجلنا التي نسير عليها؛ يتميز الطرفان الخلفيان بالطول والمفصل

---

(١) الصوت المكرر.

(٢) غير جميل.

(٣) فمنا.

الذي يتوسطهما، والطرفان الأماميان قصيران.

وينتهي كل طرف من أطرافنا الأربعة بكف فيه أصابع صغيرة، بينها جلد رقيق يساعدنا على التجديف في الماء، وإذا سرنا على الأرض، كان سيرنا قفزاً مثل قفز الأرانب.

طعامنا الحشرات الصغيرة التي تعيش في الماء مثل «يرقات»[1] النموس، وبعض الحيوانات الدقيقة التي تعيش على سطح الماء، نلتقطها بألسنتنا الطويلة التي تحتوي على مادة لزجة لا يستطيع الإفلات منها حيوان، ولسان كل منّا ليس كلسان بقية الحيوانات. فاتّصال ألْسنة الحيوانات الأخرى بفمها يكون في داخل الفم. أمّا نحن فلسان كل منّا متصل بنهاية الفم من الأمام وطرفه يكون داخل الفم؛ فإذا شاهدنا فريسة أطلقنا اللسان اللَّزج بسرعة من داخل فَمِنَا ليصل إلى الفريسة وهي بعيدة عنا؛ فلا تستطيع الهرب منّا.

أما إذا كنّا نسير على الأرض خارج الماء فإننا

---

(١) صغار.

نحصل على طعامنا من الحشرات البرية الصغيرة بنفس الطريقة التي نستعملها في الماء، فنأكل النموس[1] والنمل والذباب والصراصير؛ حتى أنَّ بعض الناس يقبضون على أفرادنا أحياناً ليضعونا في الأماكن التي تكثر فيها الصراصير لننظف لهم هذه الأماكن من هذه الحشرة الضارة. ونحن معشر الضفادع نضع بيضنا على شواطىء القنوات بحيث يكون مغموراً في الماء، ويفقس البيض فتخرج منه صغارنا.

والصغار منّا لا تشبهنا ولا تكون متكاملة الخلقة، بل تكون حيواناً صغيراً لا أطراف له، رأسه أكبر من بقية جسمه ثم يبدأ الجسم في الانسحاب التدريجي إلى أن يصل إلى ذيل رفيع، له خياشيم يتنفس بها في الماء، ولا يستطيع العيش خارج الماء، فهو كالسمك الصغير.

ويسمي الناس هذه الصغار باسم غريب فيقولون عن صغارنا: «أبا ذُنَيْبة»، وكلما كبر «أبو

---

(١) البعوض.

ذنيْبَة» ينقرض ذنبه[1] تدريجياً، وتبدأ الأطراف في الظهور، كما يبدأ الخيشوم في الانسداد، وتتكون الرئة التي تساعد الحيوان الكامل منّا في التنفس للحصول على الهواء الجوي.

كل هذا بقدرة الله سبحانه وتعالى الخالق العظيم.

وليس هذا فقط؛ فنحن نتنفس أيضاً بواسطة جلدنا الخارجي عن طريق (ثغور)[2] فيه، وقد وهبنا الله هذه الخاصية حتى يمكننا الحصول على الهواء الجوي أثناء «بياتنا الشتوي».

ففي الشتاء ندفن أنفسنا في شواطىء الترع والقنوات، ونسكن تماماً، لا نتحرك، ولا نأكل ولا نشرب؛ ونعيش على مخزون الدهن الذي اكتسبه جسدنا في فترة الصيف. ومن يرانا في هذه الفترة يظننا أمواتاً. يمكنكم أيها الأعزاء أن تشاهدوننا في الصيف، كما يمكنكم أيضاً أن تمسكوا بأحدنا دون

---

(١) ذيله.

(٢) فتحات صغيرة جداً.

خوف منّا؛ فنحن حيوانات مسالمة لا نؤذي أحداً ولا نعُضُّ ولا نلدغ.

ولكننا ننصحكم بعدم الإمساك بنا حتى لا تتلوث أيديكم بما تحمله أجسامنا من طين وقذارة، خاصة وأنَّ أجسامنا دائماً رطبة مبتلة بسبب الثغور الموجودة في جلدنا الخارجي، ولذلك فإننا من الحيوانات «ذات الدم البارد».

هل عرفتم الآن المعلومات الهامة عن تكويننا كحيوانات تعيش مع بقية الحيوانات التي خلقها الله؟

وهل تستطيعون بعد ذلك معرفة فوائدنا؟

إذا فكرتم قليلاً فيما قلته لكم فسوف تعرفون فوائدنا. إننا على الأقلّ نخلصكم من بعض الحشرات الضارة مثل البعوض الذي ينقل مرض الملاريا، وكذلك من الصراصير القذرة التي تحمل جراثيم أمراض معدية كثيرة.

وكثير من بلاد الغرب كفرنسا وإيطاليا مثلاً تتخذ منّا طعاماً يعتبرونه شهياً لذيذاً فيصنعون منّا «حساء» ويُقبلون على لحومنا سعداء بتناولها؛

وكذلك سكان بلاد الفرس، قبل الإسلام، كانوا يقبلون على أكل الضفادع إقبالاً منقطع النظير.

فلما جاء الإسلام حرَّم أكل لحومنا.

وقد ورد اسمنا في القرآن الكريم مع نوعين آخرين من الحيوانات هي الجراد والقُمَّلْ.

وسوف أحكي لكم القصة التي جاءت في القرآن الكريم تحكي ما دار بين موسى عليه السلام، وبين قوم فرعون في مصر، ودوري ودور الجراد والقمل في هذه القصة الغريبة.

قصة أقباط مصر

بعد أن هزم موسى عليه السلام سحرة فرعون، وأبطل سحرهم بعصاه التي خصّه الله بها، وطلب من فرعون ومَلَئه من الأقباط أن يرسلوا معه بني إسرائيل ليخرج بهم من مصر فرفضوا طلبه، واستمروا في تعذيب بني إسرائيل. ودعا موسى ربه بأن يريهم من آياته لعلهم يهتدون.

فأرسل الله عليهم «الطوفان» وهو المطر الشديد، والسيل الجارف، فأغرق بيوتهم وزرُوعهم

وحيواناتهم، وأهلك منهم خلقاً كثيراً، ولم يستطيعوا له دفعاً واستمر الطوفان عليهم سبعة أيام.

فلجأوا إلى موسى عليه السلام يتضرعون إليه ويعاهدونه على أن يرسلوا معه بني إسرائيل؛ لذا دعا ربه بأن يمنع عنهم الطوفان، ودعا نبيّ الله موسى ربه، واستجاب الله لدعائه، فمنع عنهم الطوفان، وأنبت الله لهم في تلك السنة من الزروع والمراعي الكثير.

فرجعوا في وعدهم، وأخلّوا باتفاقهم، وقالوا: كان ذلك الماء نعمة علينا ولم يكن نِقْمة.

فأرسل الله عليهم الجراد بأعداد كبيرة فأكل الزرع والثمار، حتى سقوف المنازل لم تسلم من هذه الجيوش الجرارة من الجراد، فعادوا إلى موسى، وطلبوا منه أن يدعو ربه ليكشف عنهم الجراد ووعدوه مرّة أخرى بأن يؤمنوا برسالته ويتركوا له بني إسرائيل ليأخذهم معه، ودعا موسى ربه، فكشف عنهم هذا البلاء، ولكن فرعون وأقباطه خانوا عهدهم وأخلفوا وعدهم، وقالوا: يكفينا ما بقي من الزروع.

فأرسل الله عليهم «القُمَّل» وهو السوس، وهي حشرة صغيرة تأكل الحب والخشب، وتلدغ أجسادهم فتصيبها بالتشويه ولجأوا إلى موسى مرة ثالثة، وعاهدوه على الإيمان والسمع والطاعة إن هو دعا ربه ليكشف عنهم.

ودعا موسى كليم الله ربه فكشف عنهم القمل، ولكنهم عادوا للكفر ثانية.

فأرسل الله عليهم جيوشاً منّا «الضفادع» بأعداد لا تُعَد ولا تحصى، فملأت بيوتهم بأشكالها القبيحة وألوانها السوداء القذرة، فملأت بيوتهم، وشوارعهم، حتى إنَّ الرجل كان يدخل بيته فيجده مملوءاً بالضفادع حتى تصل إلى ذقنه، فإذا فتح فمه ليتكلم وثبت الضفادع إلى حلقه، هذا ولم يصب بنو إسرائيل بشيء من كل هذه الأشياء.

فعادوا إلى موسى خاضعين نادمين، يطلبون منه أن يدعو ربه ليكشف عنهم ويؤكدون له أنهم سوف يؤمنون برسالته ويرسلون معه بني إسرائيل.

ودعا موسى ربه وكشف الله عنهم، وعادوا للكفر كعادتهم، وكانت المصيبة هذه المرة هي الدم

الطري النتن؛ فقد حوَّل الله ماء النيل إلى دم قذر لا يتحمل رائحته وقذارته أحد وكذلك ماء الآبار تحول أيضاً إلى دم.

فكان القبطي إذا أحضر ماء وجده دماً، فإذا أخذ هذا الدم وصبه في فم الإسرائيلي تحوَّل ماءً بقدرة الله، فكانوا يتحايلون على هذه الظاهرة العجيبة حتى حاول بعضهم أن يجعل الإسرائيليون يصبون الماء في حلوقهم فكان الماء يتحول في أفواههم إلى دم قذر نتن.

وأعادوا الكرة فذهبوا إلى موسى باكين نادمين ووعدوه بالإيمان إن هو دعا ربه فكشف عنهم الدم.

ودعا موسى ربه، وكشف الله عنهم الدم.

واستخف فرعون بعقولهم وأخبرهم بأن كل هذا من سحر موسى، وليس بآيات من ربه كما يدَّعي موسى، وصدقوا فرعون وعادوا إلى تكذيب موسى.

وأخيراً أوحى الله إلى موسى عليه السلام بأن يأخذ بني إسرائيل ويخرج بهم من مصر، وخرج

موسى بقومه، وتبعهم فرعون وجيشه من الأقباط، حتى وصل موسى إلى البحر الأحمر ووراءهم فرعون بجيشه.

فأوحى الله إلى موسى بأن يضرب البحر بعصاه، فانشق فيه طريق سار فيه موسى وقومه حتى وصلوا إلى الضفة الثانية، وتبعه فرعون وملؤه حتى صاروا وسط البحر فانطبقت عليهم مياهه وغرقوا جميعاً كما ورد في سورة أخرى من القرآن الكريم.

هل عرفتم أبنائي وبناتي، قصتي في القرآن الكريم أنا والجراد والقمل؟ لقد كنّا آيات بيّنات ومعجزات من الله أجراها على فرعون وملئه ليؤمنوا، ولكن الشيطان الرجيم سيطر عليهم فكفروا فأهلكهم الله، اقرأوا هذا البيت الشعري وحاولوا أيها الأعزاء معرفة معناه حيث يقول الشاعر المسلم:

وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه الواحدُ

وإلى لقاء.

الضفدعة

أسئلة للمناقشة:

١ ـ صف الضفدع. واذكر أين يعيش.

٢ ـ كيف تتوالد الضفادع؟ وما اسم صغارها قبل أن تكتمل؟

٣ ـ ما طعام الضفادع وكيف تحصل عليه؟

٤ ـ أذكر البيات الشتوي للضفادع.

٥ ـ ما هي البلاد التي تأكل لحوم الضفادع؟

٦ ـ ما حكم الإسلام في أكل لحومها؟

٧ ـ ما فوائد الضفادع؟

٨ ـ متى حدثت معجزة الضفادع؟

٩ ـ من هم «الأقباط»؟

١٠ ـ ما هو القمّلْ؟ وكيف كان معجزة من معجزات الله؟

١١ ـ كيف انتقم الله من فرعون وملئه؟

١٢ ـ ما هي الآيات التي أجراها الله لنصرة موسى وقومه؟

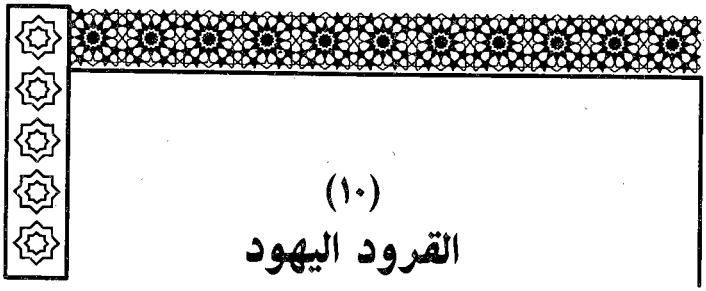

(١٠)
القرود اليهود

أبنائي وبناتي الأعزاء:

هل شاهدتم القرود في حديقة الحيوان؟ وماذا تعرفون عنها؟ أين تعيش؟ وما حكم أكل لحومها؟ وهل ذكرت في كتاب الله؟ وما قصة نزولها؟ إليكم الإجابات الحقيقية عن كل هذه الأسئلة.

القرد حيوان ذكي، يعيش في الغابات، خَلَقَهُ الله قريب الشكل من الإنسان، له يدان ورجلان لكل منهما خمس أصابع، يمكنه أن يسير على رجليه كالإنسان، كما أنه يأكل بيديه، جسمه مملوء بالشعر.

وجهه دميم[1]، فمه واسع، وأنفه قصير

---

(١) قبيح.

أفطس، جلده أسود وأذناه مفروشتان، جسمه مثل جسم الإنسان ما عدا الذيل الذي خلقه الله له في مؤخرة جسمه يساعده في التعلق به في أغصان الأشجار، وهو خفيف الحركة يقفز قفزات عالية من مكان إلى مكان سريع الجري، وإذا جرى استعمل يديه ورجليه بسرعة وخفة، مثله مثل بقية حيوانات الغابة، ذكي، يستطيع أن يقلّد كل ما يشاهده من حركات، مواطنه كثيرة في الغابات... ومنه الوحشي، ومنه المستأنس الذي استطاع الإنسان أن يروضه ويدربه بحيث يتعايش مع الناس؛ ومن القرود المستأنسة ما نشاهده في حدائق الحيوان.

ويقال: إنَّ صيادي القرود كانوا يهجمون عليها في الغابات ليصطادوا صغارها، فيدربوها على أعمال وحركات مضحكة ثم يتاجروا فيها فيربحوا من هذه التجارة مالاً كثيراً، مما جعلهم يتفننون في صيدها، ويبتكرون طرقاً ذكية في الإمساك بها.

ومن الطرق المبتكرة لصيد صغار القرود طريقة ابتكرها صيادون أذكياء استطاعوا بها أن ينجحوا في الحصول على القرود بسهولة، وهي:

عرف الصيادون أنَّ القرود (مغرمة)[1] بأكل الفول السوداني؛ فكانوا يضعون حباته في زجاجات متسعة (الفوهة)[2] قليلاً بحيث يستطيع القرد أن يدخل كفه فيها إذا ضمَّ أصابعه، ثم يلقون هذه الزجاجات في الأماكن التي يكثر فيها صغار القرود في الغابات، ويختبئون قريباً من هذه الأماكن.

فإذا شاهد القرد الصغير الزجاجة أدخل يده ليحصل على الفول منها، وعندما تصل كفه للحبات الحلوة يقبض عليها، ثم يحاول إخراج قبضته المضمومة فلا يستطيع إخراجها من فوهة الزجاجة فينشل تفكيره، بحيث يقف مكانه لا يستطيع الحراك، وعندئذٍ يسرع الصياد ليقبض عليه بسهولة دون أن يتحرك أو يهرب.

والقرد رغم ظرف حركاته وخفته إلا أن شكله مخيف وجسمه قذر، وأظافره حادة قوية، والمتوحش منه خطر على الإنسان، والقرود أنواع

---

(١) تحب وتشتهي.

(٢) الفم ـ المدخل.

كثيرة، أكبرها حجماً هو نوع «الغوريلا»؛ وأذكاها هو نوع يسمى: «الشمبانزي»، ومنه نوع يسمى: «المكاك»، ونوع آخر يسمى: «الجبون»، ومنه ما يطلق عليه إنسان الغاب، وأصغرها حجماً هو ما يسمى: «النسناس» فهو لا يكبر أكثر من حجم معين يقرب من حجم الكلب المتوسط، وبعض العلماء يقولون: إنَّ النسناس ليس قرداً، لكنه من فصيلة القرود.

وقد أثبت العلم أنَّ القرود تحمل كثيراً من الميكروبات والجراثيم التي تتسبب في أمراض خطيرة على الإنسان، ولذلك فإن تربيتها في البيوت خطر على السكان.

أما لحم القرود فمحرَّم على المسلمين شرعاً.

وقد ذكر الله القرود في القرآن الكريم في سورتي البقرة والأعراف وغيرهما من السور.

والقصة الهامة التي يجب أن تعرفوها هي قصة مسخ بعض اليهود إلى قرود عندما عصوا ربهم، وكذبوا نبيهم موسى عليه السلام؛ والآيات التي تحكي هذه القصة هي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾[1].

صدق الله العظيم.

والقصة التي حدثت تحكي عن قوم من اليهود كانوا يسكنون في قرية تقع على شاطىء البحر الأحمر هي قرية «أيله»[2] وكان هؤلاء اليهود قد عاهدوا الله بواسطة نبيّهم أن يخصصوا يوماً لعبادتهم لا يعملون فيه أي عمل دنيوي. وكان هذا اليوم هو

---

(١) سورة الأعراف.

(٢) مكانها الآن هو ميناء إيلات الحالي.

يوم السبت من كل أسبوع ينقطعون فيه للعبادة الخالصة لله، ويعملون بقية الأسبوع في الصيد، ومشوا على ذلك فترة من الزمن، ثم أجرى الله عليهم اختباراً، فكان السمك يظهر قريباً من الشاطىء في يوم السبت، فإذا انتهى يوم السبت لا يظهر قريباً من الشاطىء مما يجعلهم يبذلون جهداً في الحصول عليه.

فتحايل فريق من هؤلاء اليهود على خيانة العهد ونقض الوعد ومخالفة أمر الله بحيلة خبيثة، فكانوا ينزلون البحر في يوم السبت ليحوطوا السمك ببعض السدود والشباك حتى لا يهرب داخل البحر، فإذا كان يوم الأحد نزلوا، فاصطادوه، واستمروا على هذه الطريقة فترة من الزمن.

وأحسَّ بهم المؤمنون من إخوانهم، فحاولوا منعهم من هذه المعصية؛ ونصحوهم بأن يلتزموا بطاعة الله وأن يوفوا بعهودهم.

وكان منهم طائفة ثالثة لم يتحايلوا كالطائفة الأولى، ولكنهم لم ينصحوا إخوانهم العاصين، وانتظروا أن يعاقبهم الله ويهلكهم.

ولم يقبل العاصون النصيحة؛ واستمروا في ارتكاب ما نهاهم الله عنه، واعتزلتهم الطائفتان المؤمنتان وانتظروا أن يصيبهم الله بعقابه.

وفي اليوم التالي ذهب المؤمنون إلى العاصين في بيوتهم وطرقوا عليهم الباب، فلم يفتحوا لهم أبوابهم، ونادوا عليهم، فلم يردوا عليهم فأحضروا سلماً ووضعوه على الجدران، ثم صعدوا عليه ونزلوا في البيوت فشاهدوا منظراً عجيباً مخيفاً.

وجدوا في الحجرات عدداً من القرود بعدد سكان البيوت ولم يشاهدوا إنساناً من السكان، فاقتربوا من القرود فوجدوها تبكي بدمع غزير، وقد ظهر على وجوهها الندم والحزن والذلة؛ فعرف المؤمنون أنَّ الله سبحانه وتعالى قد أوقع عليهم عقابه، ومسخهم قروداً.

فوجّهوا كلامهم إلى اليهود القرود قائلين لهم:

ألم ننهكم عن مخالفة ربكم؟ ألم ننصحكم بعدم خيانة عهدوكم مع الله؟ فتهز القرود رؤوسها بالإيجاب، وقد غلبها البكاء واليأس دون أن تتكلم.

وعاش هؤلاء اليهود الممسوخون إلى قرود ثلاثة أيام؛ لا يأكلون ولا يشربون ثم ماتوا بعدها.

هذه هي قصة «القرود اليهود»؛ ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابهم القديم التوراة، ولكنهم حرّفوا التوراة وحذفوا منه هذه الحادثة التي تبيّن أخلاقهم وتفضح سلوكهم، ثم ذكرها المولى عزَّ وجل في القرآن الكريم ليخبر محمداً ﷺ بها، ويطلب منه أن يسأل اليهود عن هذه القصة القديمة التي يعرفونها جيداً ولكنهم ينكرونها.

أبنائي وبناتي الأعزاء:

تلك أخلاق اليهود قديماً، وهي أيضاً أخلاقهم الآن لم يتخلصوا من طباعهم السيئة من خيانة ومعصية وكذب وإيذاء، وقد قال ﷺ مرشداً المسلمين محذّراً إيّاهم أن يتشبهوا باليهود فقال: «**لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل**»[1].

---

(١) رواه أبو هريرة وقال ابن كثير: إسناد الحديث جيد ورجاله مشهورون ثقات.

وإلى قصة أخرى إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أسئلة للمناقشة:

١ ـ صف القرد؟ واذكر أين يعيش في الأصل؟

٢ ـ كيف كان صيادو القرود يتحايلون على صيد صغارها؟

٣ ـ ما أنواع القرود؟ اذكر نوعين منها.

٤ ـ في أي سورة ورد ذكر القرود في القرآن الكريم؟

٥ ـ ما حكم أكل لحم القرود في الإسلام؟

٦ ـ لماذا مسخ الله بعض اليهود قروداً؟

٧ ـ كم من الزمن عاش اليهود الممسوخون قروداً بعد المسخ؟

٨ ـ اذكر أخلاق اليهود كما عرفتها من خلال القصة؟

٩ ـ ما الجريمة البشعة التي ارتكبها اليهود مع العرب؟

(١١)
الذبابة الوثّابة

هل تعرفون من أنا؟

أنا حَشَرةٌ صَغيرةٌ ضَعيفةٌ، ولكنني قَويةٌ عنيفةٌ.

أمْرٌ كلُّه عَجَب! ولكنه مَعْقُولٌ إذا عَرفْتم السَّبب.

لا شك أنكم تستغربون، وقد لا تُصدِّقون، ولعلكم الآن تَتَساءلون؟ كَيفَ يمكنُ أن يكون؟

فالضَّعْفُ والقوةُ لا يجتمعان في كائنٍ مهما كان، وإذا سألتموني الآن: مَن أَنتِ أيتها الحشرةُ العجيبةُ، الصغيرةُ العنيدةُ، الضعيفةُ الشديدة؟

فأَردُّ عليكم وأقول:

انْظُروا حَوْلكم؛ تجدوني أَعيشُ بينكم.

أَسقُطُ على وُجوهِكم وَطعامِكم، ولا أهتمُّ بضيقِكم واحتجاجِكم، أملأُ المكانَ بوجودي وأُضايقكم بإلحاحي وبرودي.

هل عرفتم من أنا؟

إنني الذُّبابة! الحشرةُ السريعةُ الوثّابة؛ أنقل كل الأمراضِ والبلاء، وأنشُرُ العدوى والوَباء.

أَحملُ بجسمي الجراثيمَ وأنقلُها من المريض إلى السليم، لا أهتَمُّ بغضبكم، ولا أبتعِدُ عن حياتكم، أَنتَشِرُ في كلِّ مكان دون إذْنٍ أو استِئْذان، ونحن معشر الذُّبابِ نتكاثر دون حساب، وندخل مِن كل نافذةٍ وباب، طالما نَجدُ لنا في المكان أَحْبابٌ وأَصحاب؛ وأحبابُنا مَن أهملوا النظافَةَ، وأصدقاؤُنا مَن اتخذوا الكَسَلَ والخمولَ عادة، وليسَ لهم على الطَّهارةِ طاقة.

ولكن لماذا نُسمَّى الذُّباب؟ إليكم الجواب:

صَنَعَ الناسُ مِن قديم الزمان آلةً لطردنا ليحموا أنفسهم من خطرنا؛ هذه الآلة هي «المِذَبَّة» يَمسِكُها الإنسانُ ويَطرُدُنا بها من أيِّ مكان، لها يدٌ من

الخشبِ أو الجريد تنتهي بخصلةٍ من الشَّعرِ أو سَعَفِ النخيل يُحْرِكُها الإنسانُ يميناً وشمالاً فنخاف منها ونهرب حالاً. ويسميها العوام: «المِنَشَّة»؛ وَحَرَكَتُها هذهِ يُقال لها: «الذَّبَّ» أي الطرد؛ فكأنَّ اسْمَنا «الذُّباب» يَدُلُّ على ضرورةِ طَرْدِنا ومُحارَبتِنا.

خَطرُنا فَظيعٌ مُحَقَّق، ففي أَرْجُلِنا وَشَعْرِنا الصغيرِ كما في أَسْفَلِ جَسَدِنا تلتصق أية جرثومة خطيرة، ونحن عندما نحط على القمامة العفنة، والقذارة النتنة، ونبيض فيها، نتكاثَرُ بسرعةٍ مذهلة، ثم إننا لما نحوم حول الأطعمة والأشربة المكشوفة ونسقط عليها، نَنْقُلُ كلَّ الأمراض إليها.

فإذا صادَفْنا طعاماً جافاً كالحلْوىَ الصّلْبة أو السكر، فإننا نَتَقَيّأُ عليهِ سائلاً مُلَّوثاً قذراً لنذيبه ثم نلعقها ونمتصها، وبالتالي تتلوث به أَجْسامُنا، فتصبح حَقلاً خصباً لكل نوعٍ من الحشرات الصغيرة والجراثيم الخطيرة.

وإذا أَردْتُم أَن تَتَخلَّصُوا مِنّا، وَتَحمُوا أَنفُسَكُم مِن خَطَرِنا فما عليكم إلا أَن تُحارِبُونا.

وحربُنا سَهْلٌ بَسيطٌ لَيْسَ فيه مَشَقَّةٌ أو تَعَبٌ، إذ

أنَّ السِّلاحَ الفعَّالَ لحرْبنا مُتَوَفِّرٌ ونحن نخافُ مِنْه وَنَهْرُب.

هذا السلاحُ هو النَّظافَة؛ فنظافةُ المكانِ فيه مِنَّا الأمان، كما يقضي علينا ويمنع وجودنا استعمال المبيداتِ الحشريَّة، والمطهراتِ الكيماويةِ، فالتَّخَلُّصُ من القُمَامةِ، أمرٌ هَامٌّ فيه راحَتِكُم وسلامتِكُم منّا.

وحَذارِ ثم حَذارِ! من السماح لنا بالسقوطِ على وُجوهِكُم وَعُيونِكُم، وإلا أُصِبْتُم بكلِّ مَرَضٍ مُعْدٍ خَطيرٍ مثل: التيفوئيد، والدوسنطاريا، والرمد الذي يسبب العمى، هذا عدا كَثيرٍ من الأمراضِ الأُخرى التي تعرِّضُكم للخَطر وتَملأُ حياتَكم بالألم والسّهر.

ونحن حَشَراتٌ صَغيرةُ الحَجْم، لكنَّنا سَريعوا الطَّيرانِ والحركةِ؛ فيُمكِنُنا الهربُ من مُطارِدينا بخفةٍ عجيبةٍ، يُساعِدُنا في ذلك خِفَّةُ أَجسامِنا وسُرْعةُ خَفَقاتِ أجنحَتِنا.

ومِنَّا نَوْعٌ أَفْظعُ من غيرِهِ يعيش في مواطن عديدة مِن مناطق إفريقيا الحارة كالمستنقعات والغابات؛ وهذا النوع يُسمى «التسي تسي»، وَلَدغَتهُ

تسبب شَلَلَ الجِسْمِ كُلِّه ثُمَّ الموت.

كما أَنَّ هُناك أيضاً نوعٌ خطيرٌ آخر إذا حط على العيون أصَابها بالعمى بعد فترة قصيرة.

وعموماً فإننا حَشَراتٌ قَذِرَةٌ ضارَّةٌ، يَجب التَّخَلُّصِ منها بكلِ وَسيلةٍ مِن الوَسائل.

ومِن هذِهِ الوَسائل: تنظيفُ الشوارعِ والبيوتِ من القُماماتِ التي نتوالد عليها ونتكاثر فيها.

وقد ذَكرَنا الله سبحانَه وتَعالى في كتابه الكريم حيث وَصَفَنا بالضُّعْف والقوةِ في آن واحد.

فنحن ضِعافٌ أمامَ الإنسانِ المفكِّر الطَّاهِر النَّظيفِ، أقوياءُ أمامَ الجماداتِ والأصنام، قال جَلَّ وَعَلا في سورةِ الحج:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ صدق الله العظيم.

فقد خاطب المولى سبحانه وتعالى في هذه الآيات البيّنات عقول المشركين الذين يعبدون الأصنام، ويتخذونها آلهة من دون الله فيقول لهم:

أيها المشركون، يا مَن تَعْبدون أصْناماً صَمَّاء، لا تَعْقِل وَلا تَرى ولا تَسمَعُ ولا تَحُس ولا تَتَحَرَّك، كيف تَتَّخِذونها آلهةً مِن دونِ الله، وهي أَضْعَفُ من الذُّباب الحقير، فهذه الأصنام لن تَستَطيعَ أن تخلق ذُبابةً صغيرةً حتى ولو تجمعت كلها لهذا الغرض، بل إنها لَن تستطيع لِضَعْفِها أنْ تَمْنَعَ الذُّبابَ عن سَلْبِ ما عَليها وأخْذِ ما فوقها مِن العطورِ والمِسْك.

وقد بَيَّن علماءُ التفسيرِ السَّببَ في تخصيصِ ذِكْرِ الذُّبَاب دُون غيرِهِ في هذه الآياتِ فقالوا:

«خَصَّ الله الذُّبابَ بالذِكْر في الآيات لأرْبعةِ أمورٍ هي:

مَهَانَتُه، وضعْفُه، وحقارَتَه، وكَثْرَتُه، فإذا كانَ ما عبدوا من دون الله لا يقدرون على خلق مثل هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره أو دفع أذيته، فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين وأرباباً

مُطاعين؟ وهذا مِن أقوى الحُجَّةِ وأَوْضَح البراهين»[1].

والطالبُ في الآياتِ هُو عَابِدُ الصَّنَم الذي يِطْلبُ الخَيْرَ منه والمطلوبُ هو الصَّنَم فَكُلٌ مِنْهما حَقيرٌ ضَعيفٌ.

والمعنى العامُّ لهذا التمثيلِ الإلٰهي الرَّائعِ هو:

«مَثَلُ هؤلاءِ الكفار في عبادتِهم لغيرِ الله كمثلِ الأصنامِ التي يعبدونها فهي لا تستطيع خَلْقَ ذبابةٍ واحدةٍ، ورغم حقارة هذه الذُبابة وضعفها فإنها أقوى من الأصنام. بدليل أنها لو سَلَبَتْ من هذه الأصنام الصماء شيئاً وهربت به فلن تستطيع هذه الأصنام استرجاع هذا الشيء منها»[2].

نعود إلى حديثنا الأولِ عن ضَعْفِنا نحنُ الذبابُ وقوتنا في نفسِ الوقْتِ لِنسْتخلِصَ من كلِّ ما ذكر:

أنَّ الله سُبْحانَهُ وتعالى قد وَصَفَنا بالضُّعْفِ والحقارة، وَمَنْ لَمْ يُحافِظْ على نَفْسِهِ منّا فَهو

---

(١) القرطبي ٩/١٢.

(٢) الكشاف للزمخشري.

كالحِجارة، لا يفكر ولا يتدبر، ولا يَلْتَفِتُ ولا ينظر وإنما هو كالصنم بَل هُو أشدُّ غَباءً من الصنم، لأن الله خلق لكم أيها البشر عقولاً تُفكِّر، وقلوباً تتدبر، بينما حُرِم الأَصْنَام من العقولِ والأَفهامَ.

فَهلْ يَليقُ بكم أنْ تكونوا أَقلَّ إدراكاً من الأصنام؟

فكن أيها الفتى المسلم ذَكِياً عَاقلاً، واستعملْ عَقلَك وذكاءَك فيما فيه حمايتُك ونفْعُك، وتخلَّص منّا لِتَعيشَ سَليماً مُعَافىً، واحم جَسَدَكَ وصِحَّتَكَ بالنظافة والطهارَةِ، والوقاية خير من العلاج.

ويقول الله تعالى في كتابه المبين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1]، كما يقول جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[2]. صدق الله العظيم.

ورسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام يقول: **«الطهور شطر الإيمان»**.

---

(١) البقرة: ٢٢٢.

(٢) البقرة: ١٩٥.

كما يقول ﷺ: «**إنَّ الله طَيِّبٌ يُحِبُّ الطيِّبَ، كَريمٌ يُحبُّ الكرمَ، جَوادٌ يُحِبُّ الجُودَ، نَظيفٌ يُحب النظافةَ فنظفوا أفْنِيَتَكم ولا تَشَبَّهوا باليهود**». صدق رسول الله.

الذبابة الوثابة

أسئلة للمناقشة:

١ ـ لماذا تَصِفُ الذبابةُ نفسها بأنّها ضعيفةٌ وقويةٌ؟

٢ ـ أَينَ يَكْثُر تواجُدُ الذبابِ عادةً؟

٣ ـ اذكرْ بَعْضَ الأمراضِ التي يَنْقُلُها الذُّبابَ.

٤ ـ كيف يُمكِنُنا التَّخلُّصُ من الذُّبَاب؟

٥ ـ أَين يَتكاثرُ الذبابُ ويتوالد؟

٦ ـ لماذا وصَفَ الله المشركين بأنَّهم مثل الأصنام التي يعبدونها؟

٧ ـ اذكر حديثاً شريفاً يَحُث المسلمَ على النظافة؟

٨ ـ القرآنُ الكريمُ يُرشدُنا إلى ضرورة النظافةِ والطهارة، ماذا قال الله تعالى في كتابِهِ عن ذلك؟

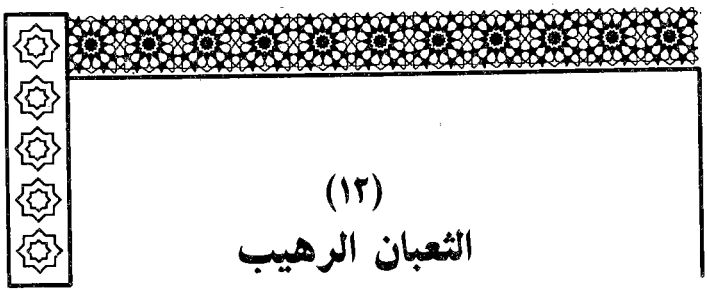

(١٢)
الثعبان الرهيب

أبنائي وبناتي الأعزاء، هَل تعرفونَ الحَيَّاتِ والثعابين؟ وهل تخافونَ منها؟ ولماذا؟ وأين رأيتموها؟ في الصحراء أم في الغابات؟ أم شاهدتموها في حديقة الحيوان، أو في التلفزيون؟

وما سِرُّ هذا الفَزَعِ الذي يُصيب الإنسانَ عند رُؤيَتِها؟

تَعالَوْا مَعي نتعرَّفُ معاً على هذا الحيوان المُخيف الذي يُصَابُ الإنسانُ بالرُّعْب والفَزَع لمجرَّدِ ذِكْرِ اسمِهِ، حتى أنَّ الناسَ تصف العَدُوَّ الماكرَ الخطيرَ بالثعبانِ أو الحية.

إنَّ سِرَّ الخوفِ من الثعابينِ والحيَّاتِ، يكمن في خُطورةِ سُمِّها وَعَضَّتها، وسُرْعَة هَرَبِها، وسُهُولَة

اختبائِها في الشقوق وبَيْن الأثاثِ، وَوَسَط المزارعِ والحقول وبين الأعشاب الجافة والخضراء، لا يَصْدُر عَنها صوتٌ أثناءَ زحفِها، ولا يتمكن الإنسان مِن رُؤيتها بسهولة؛ فهي سريعةُ الزَّحف قويةُ العضلات.

سِلاحُها قاتِلٌ، وَسَمُّها مُميتٌ، إذا عَضَّت إنساناً أو حيواناً أفْرَغَت فِيه سُمَّها الذي يقضي عليه إذا لم يسارْع بالعلاج في الحال.

والعِلاجُ مِن عضة الثُّعبان أو الحية، لا يتوفر إلا في المستشفيات والمستوصفات، التي قد تكون بعيدة عن مكان المصاب، والسم سريع السريان في الجسم مما يُعَرِّض المصاب للموت.

والثعابينُ لها إمكاناتٌ جِسْميةٌ ليست في غيرِها من الحيوانات الزاحفة.

فالبرغم من صِغَر حجمها إلا أَنَّها ذاتَ قوةٍ رهيبة، تستطيعُ وكأنها إنسان، أن تنتصبَ على الأرض واقفة، رَأسُها إلى أعلى معتمدةً على عضلاتِها القوية؛ وَسِرُّ قُوَّتها هذه يَرجع إلى أضلاعِها الثلاثين المتماسكةِ القوية.

والحيَّاتُ لا تَموتُ مَوْتَةً طبيعيةً في أغلب الأحوالِ. وَمَن لا يتعرَّضُ منها لأحداثٍ تميتها قد يعيشُ إلى ثلاثمائة سنة. ولذلك فإنها أَطولُ عُمراً من أيِّ حيوانٍ آخر.

كما أنها تَصْبر على الجوعِ والعَطش مدةً خيالية إذ يُمْكِن للثعبان أو الحيةِ أن تعيش أُسبوعين دون طعامٍ أو شراب، وكلما كبر سِنُّها ضَعُف جسمُها وزادت خطورة سمها.

ورغم أنَّ عدد أنواع الثعابين السامَّة ليس كثيراً، إلا أن الإنسانَ العاديَّ لا يَسْتَطيع تمييزَ السامِّ من غير السامِّ مما يجعلنا نُصابُ بالخوفِ عِندَ رُؤْية أيٍّ منها، خاصة وأنَّ سرعتها في الهرب لا تمكننا من معرفةِ نوعِها بسهولة.

وأنواعُ الثعابين السامَّة هي:

١ ـ **الكوبرا**: وهي عِدَّةُ فَصائل، كُلُّ فَصيلةٍ منها لها شَكْلٌ مَعْروفٌ وبيئَةٌ مُعَيَّنة تعيش فيها؛ ومنها:

أ ـ **الكوبرا الهندية**: وتسمى الكوبرا ذات

المِنْظار، وتَسْمِيتُها بهذا الاسم إنما ترجع إلى وجودِ علامةٍ على ظهر غطاء زأَسِها تُشْبه النظارةَ ذات العدستين وهي تعيش في بلاد الهند.

ب ـ **الكوبرا الشرقية**: وهي تعيش في الشرق الأقصى، ولونها: أسود بدون علامات، وموطنها: الجبال والصحارى والغابات.

جـ ـ **كوبرا الملك**: وهي تعيش في الجزء الاستوائي من آسيا وتعتبر كوبرا المَلِك مِن أكبرِ الثعابين السامّةِ في العالم فقد يزيدُ طولُها عن ستةِ أمتارٍ.

د ـ **الكوبرا الإفريقية**: وهي ثعبانٌ ذو حَجم مُتَوسطٍ، لا يزيد طُولُهُ عن مترين ولكن خطورتَهاَ كبيرةٌ جداً فهي لا تكتفي بالعض ولكنها تَنْفُثُ السمَّ في وجهِ أي حيوانٍ أو إنسانٍ يَقتربُ منها، فإذا أصاب العيونَ وَجَب غسلُها بسرعةٍ بالماء النظيف وإلا أصيبت بالعمى.

ولذلك فإن الكلاب في هذه المناطق غالباً ما تكون عمياء بسبب هذه الحية الخطيرة.

هـ ـ **الكوبرا المصرية**: أو «أفعى كليوباترا»؛ وهي تعيشُ في رمالِ صحراءِ مصر، ويقال: إنها الحية التي انتحرت بها الملكة المصرية القديمة «كليوباترا» عام ثلاثين قبل الميلاد.

٢ ـ وهناك نوع آخر من الثعابين السامّة هو: «**الحية ذات الأجراس**». وموطنها الوحيدُ هو: غابات وصحارى أمريكا.

وسببُ هذه التسميةِ إنما يعودُ إلى أن في نهاية ذيلِ ثعبانِ الجَرَسِ جهازٌ غَريبٌ يَتركَّبُ من مجموعةِ حلقاتٍ قرنية اتّصالها ببعضها غير محكم، فعندما يهزُّ الثعبانُ ذيلَه يحدث منها صوتٌ عالٍ.

وتتكونُ كلُّ حَلَقةٍ من هذه الحلقاتِ بعدَ أنْ يَنْسلخَ الثعبانُ من جلده. وبذلك فإن عدَدَ الحلقاتِ يَدلُّ على عُمُر هذا الثعبان عند علماءِ الحيوان، ويتراوحُ عددُ الحلقاتِ ما بين ثماني حلقاتٍ إلى أربعَ عشرة حلقة.

ومع مرور الأيام والسنوات تتفتت الحلقاتُ القديمة «الأخيرة» وتسقط.

٣ ـ ونوعٌ ثالثٌ من الحيواناتِ السامّة هي: «**ثعابينُ البحر**». وتوجدُ في سواحِلِ المحيطين الهندي والهادي بالأجزاء الاستوائية، وتُعرفُ من ذَيْلها المُفَلْطَح الذي يُشْبه المجدافَ، وسَمُّها قويٌ جداً بالرغم من أنَّ عضتها ليست مؤلمةً على الإطلاق؛ ولكنها بعد ساعاتٍ تشل الفريسة فلا تستطيعُ أن تتنفسَ ثم لا تلبثُ أن تَموت.

ولجميع الحيات السامَّة أنيابٌ طويلةٌ مُجوَّفَة تَصُبُّ السمَّ بواسطتها في فَريستِها، عندما تعضها فَيَسْري في جسمِ الفريسة ويعرِّضُها للخطر.

والحيّةُ تَستطيعُ أن تُحرِّكَ هذه الأنياب إلى الأمام وإلى الخلف عندما تفتحُ فمَها وتُغْلقُه، فهي تبرزُها للأمام عند فتح الفم، وتُثنيها إلى الداخِلِ عند قفلِهِ بحيث تُصْبح هذه الأنيابُ بمستوى فَكِّ الحية.

٤ ـ الحيَّات غير السامّة:

أنواعها كثيرة جداً؛ وَهيَ تتميَّز بكبرِ الحجم وقوَّةِ العضلات، وليس لها الأنياب المجوَّفة السامّة.

ولذلك فإنها تقتلُ فريستَها بأن تلتفّ حولَها، وتضغطُ عليها ضغطاً قويّاً فَتُحطِّم أضلاعَها، ثم تبتلعُها.

وإذا قُطعَ ذنبُ الحية، عاد كما كان بعد مدةٍ قصيرة، وإذا ذُبحت بقيت ثلاثة أيام تتحركُ قبل أن تموت، وإذا مرضت أكلَت ورقَ الزيتون فتشفى ويقال: إنَّ صوت الحية من جلدها.

والثعابين مشهورة بالأنانيَّةِ وحُبِّ النفس والتَّوَحُش حتى ليقال في الأمثالِ عن وصْفِ الظالم: «فلان أظلم من حية»، وذلك لأن الحيَّةَ لا تحفُرُ لنفسِها بيتاً أو جُحْراً أو وكراً، وإنما تسكُن في أي وكرٍ تجدُه مُعَدّاً بعد أن تطردَ أو تقتل ساكنيه وتستحوذَ على بيتهم بكل بساطة.

وأخطرُ جُزْءٍ في الحية هو رأسها الذي يحتوي على أنيابها الخطيرة ذات السمّ المميت، ولكن من فضل الله أن جعلَ رأسَ الحيةِ أضعف جُزءٍ في جسمِها، وذلك لأن رأسَها يتَكونُ مِن جِلدٍ بداخلِه عَظمتين مُسْتطيلتين ضعيفتين:

إحداهما: بالفكِّ العُلْويِّ، والآخرُ: بالفكِّ السُّفليِّ. وأيَّةُ ضربةٍ على الرأس تُحطمُها وتموت فوراً، ولذلك فإنها عندما تَحسُّ بعدوٍ يُحاوِل ضربَها ولمْ تجدْ سَبيلاً للهربِ مِنه، فإنها تُسْرِعُ بإخفاء رأسِها بينَ طيَّاتِ جِسْمِها وتحت لفَّاته حتى تحميه.

وَذَكَرُ الحيَّةِ يُسمِّيه العربُ: «الحُبَاب».

ويَذكرُ علماءُ الحيوانِ أنَّ في مِصْرَ حيواناً مُتَوَحِشاً من فصيلةِ القِطِّ غزير الشَّعْر سريعَ الحركة يعيشُ في الحقول ويسمى: «النِّمْس».

هذا الحيوانُ يَهْوى قتلَ الحيات والثعابين ويأكلُها؛ والثعابينُ والحيَّاتُ تعرف طباعه وتهرب منه عندما تراه.

والثعبانُ أو الحيةُ عندما يتعذَّرُ عليه الهربُ من النِّمْس، فإنه يَلجأُ إلى حيلةٍ يظنُّها مُفيدة؛ وهي أنه يَلْتفُّ حول وَسَط النِّمْس حتى لا يتمكنُ من القبضِ عَليْه وعندما يَنْجح في الالتفافِ حولَ وَسَطِهِ يبدأُ في الضغطِ عليهِ في محاولةٍ لتحطيمِ

أضلاعه. ولكن «النِّمس» يلجأُ إلى حيلةٍ أذكى من حيلةِ الثعبان أو الحية. وهي أنه يُصَفِّي بَطنَه من الهواء فَيَتقلّص بطنُه بقدر ما يستطيع، ويضغط الثعبانُ بكل ما له من قُوة. عندئذٍ يَزْفر «النِّمس» زفرةً تَنْتَفخ بها بطنُه فجْأة وبقوةٍ فتتحطمُ أضلاعُ الثعبان أو الحية ويسقُط على الأرضِ لا يستطيع الحراكَ فيأكله النِّمس.

ولا يزالُ الناسُ إلى الآن يُشاهدون في بلاد الهندِ والشرق الأقصى «حاوي الثعابين» وهو يقوم بألْعابِهِ المثيرة.

فيحمل سلةً بها بعضَ ثعابين الكوبرا السامَّة مغطاةً بغطاءٍ مُزَرْكَشٍ، ومعه مِزمارٌ طويل، ويبدأُ في ممارسةِ ألْعابه.

فهو يجلس في مكان مُتَّسع ويلتفُّ حولَه الناس، فيبدأ بكشْف غِطاء السلَّة ثم يَدُق على جانِبها دَقَّاتٍ خفيفة، ويَبْتَعدُ عنها قليلاً، ثم يَنفخُ في مِزماره منحنياً إلى الأمام بخفةٍ وَيُطلق من المِزمار وهو يَتمايَل يميناً وشمالاً، ألحاناً

موسيقية. وعندئذٍ يُشاهد الناسُ رأسَ حيةِ الكوبرا الخارجة من فوَّهة السلَّة وهي تتحرَّكُ تبعاً لحركاتِ المزمارِ والحاوي فيما يُشْبه الرقصَ والدَّوران، ثم تَخْرج ثعابين أخرى تَزْحَف على الأرضِ حول السلة، ويستمر الحالُ هكذا فَترةً من الزمن، وعندما يَظهرُ التَعَبُ على الثعابين تجمد في محلها ويسرع الحاوي في جمعها ويرجعَها إلى السلة ويغطيها، وأخيراً يَحْمل وِعاءً ويطوفُ به على المتفرجين ليجمَعَ مِنهم بعض المال، وهكذا يَرْتَزِقُ من هذه المِهنة.

ولعلّكم تسألون لماذا يَطْرُق الحاوي على السلَّة؟ ولماذا يتمايل بمزمارِه وهو يَعزِف؟ ولماذا لا يُخافُ من الثعابين السامّة؟ ولِمَ لا تعضه؟ والإجابةُ ستكون غير متوقعة، وهي:

إنَّ الثعابينَ بِوجْهٍ عام صمَّاءٌ، لا تسمَعُ لأنها تفتقر إلى الآذانِ الخارجية؛ وهكذا فهي لا تسمعُ الأصوات عن طريقِ الذَّبْذبات الهوائية. هذا ما أثبته العلم بعد تجارب عديدة، ولكنّ الثعابين تستطيعُ أن تحسَّ بالأصوات عن طريقِ

الذَّبْذبات التي تنتقل إليها من خلالِ الأرضِ، مَهْما كانت الطرقاتُ أو الأصوات ضعيفة. وهذا الإحساسُ العجيبُ اكتسبَتْه عن طريق جهازٍ خلقه الله لها؛ وهو ما يسمى باسم: «جهاز الموجات فوق الصوتية».

ولذا، فإن الحاوي يتمايلُ ويَهزُّ مزمارَه هزاتٍ حَلَزونيةٍ أَثناءَ ألعابِه، فَتُشاهدُه الثعابين بما وَهَبها الله من قُوَّةِ البصر، فتهتزُّ وتتمايلُ بما يُشْبه الرقصَ مقلدةً الحاوي.

أمَّا فيما يتعلَّق بِعَدم خوفِ الحاوي من عضها، فهو إمَّا أن يكونَ قَد خَلَع أنيابَ هذه الأفاعي، أو خاط أفواهَها بحيثُ لا تستطيع أن تفتَحَها لتعضَّه؛ والفرض الأول أصح.

وأنيابُ الثعابين إذا خُلِعت فإنها تعودُ وتنبُتُ مرةً أخرى بعد ثلاثة أيام. والشَّفَةُ العليا لها مشقوقةٌ يَخرُج منها اللسانُ الرفيع المزوَّد بأعضاءِ حَسٍّ للتذوُّقِ والشمِّ؛ فهو بالنسبةِ لها كالأنفِ للكلب.

وقد جاءَ ذِكرُ الحيّة والثعبان في كتاب الله تعالى في ثلاثة مَواضع كلُّها عامةً تحكي قصة موسى عليه السلام عندما أرسلَهُ الله جلَّ وعلا إلى فرعون مصر.

فأولاً جاء في سورةِ طه قوله سبحانه:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[1]... إلخ القصة.

والموضع الثاني في سورة الأعراف يحكي نفس القصة حيث يقول جلَّ شأنه فيها: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾[2].

والموضع الثالث في سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾[3].

---

(١) طه: ١٧ ـ ٢٠.

(٢) الأعراف: ١٠٧.

(٣) الشعراء: ٣٢.

والقصة كما وردت هي:

إنَّ موسى عليه السلام ذهب إلى أرض مَدْينَ هرباً من فرعون مِصرَ ومَلَئِهِ خوف القتل، والتقى هناك بنبيِّ الله شُعَيْب عليه السلام؛ وسقى غَنَمَ بنتيه وتزوَّج إحداهما بمهْرٍ هو خِدمةُ شَعيب ورَعْي غنمِهِ لأجَلٍ امتدَّ ثماني سنوات، وقضى عشر سنين وأتم وعدَهُ ثم استأذَن حمَاه ليعودَ إلى مصر مع زوجته من أرض مدين، وفي أثناء سفرهما وعند الطور في سيناء، اشتد البرد عليهما ليلاً، وبحَثَ موسى عن مكان يأويهما فلم يجدْ ويتَلفَّت حوله فيرى شُعاعاً مُضيئاً عن بُعْد ويَتَّجه إلى مصدر هذا الضوءِ وهو يَظنُّه ناراً آملاً أن يُحضر منها شُعْلةً يستدفىء بها هو وزوجته.

ولما وصلَ إلى المكان وجد نفسه قريباً من جبل كبير، ولم يكن قد كُلِّف بالرسالة بعد. ولما أراد أن يَدْخلَ إلى سفح الجَبَل سمع صوتَ ربه جلَّ وعلا يناديه ويخبرَه أنه الآن في الوادي المُقَدّس، ويطلب منه أن يخلَعَ نعْليْه ويستمعَ إلى ما

يُوحيه مولاه إليه. وتُشْرق نفس موسى عليه السلام وتَملأُه السعادةُ الكبرى والنشوة العُظْمى ويصل إليه نِداء المولى، لا إلى أُذنيهِ فقط، ولكنه يسمعُه بكل كِيانِهِ، ويشعرُ بهِ في خَلَجاتِ نفسِهِ، ويحُسُّ بأن قلبَه قد امتلأ سعادةً وإشراقاً، ويتم الحوارُ بينه وبين المولى جلَّ وعلا. أسئلةٌ يُلْقيها عَلَيْه مولاهُ وإجاباتٌ منه يُطيلُ فيها ويُسْهِب ويتمنَّى ألا ينتهيَ هذا الحوار.

وضِمْن الحوارِ الرائعِ يسألُه الله سبحانه وتعالى عما في يدِهِ، وهو أعلمُ بها. ويردُّ عليه موسى عليه السلام ردّاً طويلاً فيقوله له: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ ولا يتوقف بعد ذلك. ولكنه يتابع قولَه التماساً لتطويل هذا الموقف السعيد فيقول: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾، ثم يتابع أيضاً: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾.

ويطلبُ منه رَبُّه أن يُلْقيها على الأرض، ويُطيع موسى. ويُلقي عَصَاهُ فإذا هي تتحوَّل بقدرةِ الله إلى ثُعبانٍ ضَخْم مُخيف يُحَطم ما يقابلُه من الصخور والأشجار، وتقدح عيناهُ شرراً،

فيهربُ موسى خوفاً منه. ويُطَمْئِنُه الله سبحانه وتعالى ويطلب منه أن يُمسكَهُ بيده، فسوف يعودُ كما كان عصاً لا تؤذي ولا تخيف، ويفعل موسى فيتحول الثعبان إلى عصا.

ثم يطلُبُ منه مولاهُ أن يُدخِل يَدَه في جيبه ثم يُخرجَها، فإذا هي بَيْضاءُ مضيئةٌ، وتُصيبُ موسى الدَّهشَةَ، فيخبره القديرُ العظيم بأن هذه معجزاتُه التي سوف يعْرِضُها على فرعون مصر، كدليلٍ على نُبُوَّتِهِ، ويأمرُهُ بالذهابِ إلى فرعون ليعرِضَ عليه الإيمان بالله وترْكِ ما يَدَّعيه من الأُلوهية.. والرجوعِ عن ظلم بني إسرائيل، وتَرْكِهم ليسيروا مع موسى، ويطلبُ موسى من رَبِّه أن يُرْسلَ معه أخاه هارون، ويكذبهما فِرْعون، ويَعْرِضُ موسى على فرعون مُعْجزتيه فيتهمه بالسِّحر. ويجمَعُ له سَحَرَتَه وكان عددهم سبعمائة ساحر ونيف؛ وتحدُثُ مباراةٌ في السِّحر بين موسى والسَّحرة، وينتصِرُ عليهم موسى عليه السلام ويؤمنون به، ويهددُهم فرعونُ بالعذاب والنّكال ولكنهم لا يهتمون بتهديده، ويُصرّون

على الإيمان بالله ويتَّبِعون موسى ويأخذ موسى قومه والسحرة ويَخْرُجون من مصر متوجهين ناحية البحر الأحمر، ويتبَعُهم فرعونُ وجيشُه ويَحْصُرُهم عند الشاطىء، فيوحي إليه الله بأن يَضْرِب البحرَ بعصاه، فتنحسر المياهُ، ويظهر في البحر طريقٌ جافٌ يَصل بموسى وَمَن مَعه إلى الشاطىء الآخر. وفي نفس الوقت يصلُ فرعونُ وجنودُه إلى وَسَطِ البحر، وبقدرةِ الله تعالى تَنْطَبق المياهُ عليهم فيموتون غَرْقى.

وقبل أن يموت فرعونُ يَنْطِق بجملةٍ تنم عن إيمانه بالله، فيقول: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾. ولكنه إيمانُ اليائِس المُشْرِف على الهلاك، ويُظْهر الله جسمَه بعْدَ موْته أمام الناس، حتى يبيِّن لهم أنه بَشَرٌ يموتُ ويهلَكُ، وليس إلٰهاً كما كان يدَّعي.

تلك هي قصةُ الثعبانِ أو الحيةِ التي ذكَرَها الله جلَّ وعلا في كتابِهِ الكريم، وكانت طَرَفاً في قصةٍ من أجمل قصص التنزيل التي نزلت في القرآن

الكريم على رسولنا وحبيبنا محمد ﷺ ضِمْن قصصِ الأنبياءِ السابقين تَسْليةً للرسول عليه الصلاة والسلام وعِبْرَةً لكفار قريش.

وإلى لقاء آخر مع قصة أخرى من قصص: «ما ورد في القرآن من الطير والحيوان».

أسئلة للمناقشة:

١ ـ لماذا نَخَافُ من الثعابين؟

٢ ـ من أي فصائل الحيوانِ تكونُ الحياتُ والثعابين؟

٣ ـ ما هي أنواع الكوبرا؟ وأين يعيش كل نوع؟

٤ ـ ما هو أضعفُ جُزء في جسم الثعبان؟ ولماذا؟

٥ ـ كيف تموتُ الحيات والثعابين؟

٦ ـ ما متوسط عمر الثعبان؟

٧ ـ صف ثُعْبان موسى عليه السلام.

٨ ـ هل كل الثعابين سامَّة؟ وَضِّح ما تقول.

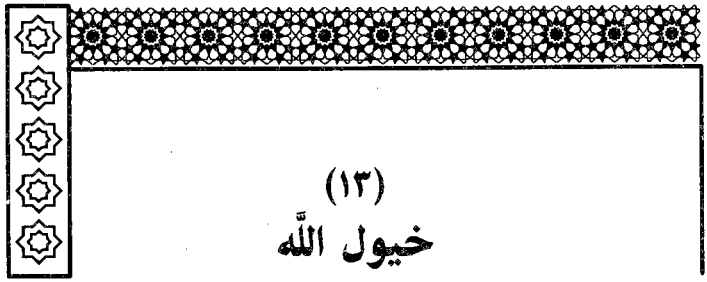

(١٣)
خيول الله

أيها الفتى المسلم، أيتها الفتاة المسلمة.. سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

سوف أتكلم معكم الآن عَنْ صِنْفٍ آخرَ من الحيوان خَلَقَهُ الله لنا لننتفِعَ به، وجعَلَه مباركاً مُكرَّماً، في محكم تنزيله.

هذا الصنف ليس من الأنعام، وليس من الطيور، وليس من الحَشرات، ولكنه من نوع آخر؛ وهو ذو أهميةٍ كبرى في حياتنا كما أن له تاريخاً مَجيداً يَدُلُّ على أصالتهِ وعَظَمته. وقد وُجد هذا النوعُ منذُ فجر التاريخ ولا يزالُ موجوداً إلى الآن بَيْننا نحبُّه ونقدِّرهُ، إنه الحصان، هذا الحيوان الجميل الشكلِ الذي يَمْلأ العينَ والقلبَ برؤيته.

ويَدُلّ اسمُ الحصان على مدى ما يَتَمتَّع به من معاني الكرامةِ في لغتنا العربية؛ كما يدلّ على «الحصانة» وهي النَّقاءُ والكرامةُ والحصان يُذَكِّرُنا بالحصونِ المنيعةِ التي يَحتمي فيها الإنسانُ فيأمَن على نفسهِ من العَدُوِّ والعُدْوان، وكثيرٌ من الجملِ العربيةِ تؤكِّد هذا المعنى.

فيُقالُ للرجلِ الذي يتمسَّك بكريم الخُلُق ونقاء الدين وثَباتِ العقيدة: «إنَّه في حِصْنٍ حَصينٍ من الشيطان»؛ كما توصفُ المرأةُ أو الفتاةُ الطاهرةُ بأنها «حَصان» بفتح الحاء، وتسمى المرأةُ المتزوجة «مُحْصَنة» بفتح الحاء أيضاً.

فما هُو هذا الحيوان الذي اشتُقَّ من اسمِهِ كُلُّ هذهِ الصفاتِ الكريمة؟ ونال كلَّ هذا الاهتمام منّا على مدى التاريخ؟

إنَّ الحصان ينتمي إلى فصيلة تسمى: «الخيل». والخَيْل جَمْعٌ لا واحدَ له من لفظه. الذّكر منه يُسمّى الحصانُ أو الجواد، «والجواد من الجودِ والكَرَمِ والأَرْيَحِيَّة والسماحة»، والأُنثى هي «الفَرس»

بفتح الفاء. والصغيرُ منها يسمى: «المُهْر» بضم الميم وسكون الهاء.

والخيولُ في الأصل هي حيواناتٌ وَحشيةٌ كانت تعيشُ في البرارِي و المراعي الجبلية وعلى أطْرافِ الغابات، وقد اكتشفها الإنسانُ في سنة سبعمائة قبل الميلاد، ولكنه لم يستأْنِسْها إلا في القرن الثاني الميلادي.

وبعد أن روَّضها اتخذها الإنسان عوناً له في كثيرٍ من الأعمال الشاقة، فسهَّلت عليه كثيراً من صعوبات الحياة.

استعملَها في الركوب، فكان يَقْطَع بها المسافاتِ الطويلةِ في زمنٍ قصير وذلك لسرعتها وذكائها، كما اتخذها عوناً له في مُطاردةِ الصيد، فكانت نِعْمَ المُعين والرَّفيق والصَّديق.

ثم دَرَّبَها بَعْد ذلك على أعمالِ الحرب من كَرٍّ وفَرٍّ ومُحَاوَرة، فاستجابت للتدريب وبَرَعَت في هذا الفن حتى غدت سِلاحاً هاماً يحسبُ له الأعداءُ ألفَ حساب.

ولذلك كانت القبائلُ العربيَّةُ تتفاخَر بعددِ ما تملكُه من الخيل؛ فالقبيلة المُهابة الجانب هي التي تقتني عدداً كبيراً من الخيول، وهكذا يكون التنافسُ على امتلاكِها كبيراً آنذاك، بحيث أُعطِيَت الخيولُ الأَوْلويةَ في مُعداتِ القوة الحربية منذ قديم الزمان.

وتتميَّزُ أعْضاءُ الخيل بالطول والرّشاقة والجمال؛ فسيقانُها قويةٌ سَلِسَةٌ، وأرجُلُها صلبةٌ نحيلةٌ تُمَكِّنُها منَ الكَرِّ والفرِّ بسُرعة وقوة.

وفي القرنِ الخامس الميلادي، بَدأ الإنسان للمرة الأولى يُجرِّبَ حِمايةَ حَوافِر الخيلِ بالتشذيب أولاً، ثم بالتشذيب ووَضْع حلقاتٍ حديدية تُثَبَّت بمساميرَ في الحافِرِ من أسفل وهي ما نسميها الآن «حَدوةَ الفَرَس»؛ وهذه «الحدوةُ» تساعدُ الخيل في السير على الأرْضِ الصخريَّة الصَّلبةِ بسهولةٍ ويُسرٍ وسُرْعة، كما تحمي الحافرَ من التفتُّت.

والخيول ذات سُلالات كثيرة، يختلف بعضها عن البعض من حيث المظهر، والقوة، والسرعة، والتحمل، ومنها سلالة صَغيرةُ الحجْم ناعِمةُ

المَلْمَس، سريعةُ العَدْو وهي التي تسمى: «السيسي»، وهو حيوانٌ مُهَجَّن، أمه فَرَس وأبوه حمار كبير الحجم. و«السيسي» بالرّغم من أنه أصغر حجماً من الحصان إلا أنه قويٌّ سَريعٌ، حَمُول، وأقلُّ عُرْضَةً للأمراض.

وأعظمُ سُلالاتِ الخيل وأجملها هي: الخيول العربية الأصيلة، وسرّ أصالتها هو أن العربَ بعد أن استأنَسوا الخيلَ، كانوا يَحرِصون على أن يُزاوِجوا بين الفَرَس القوية الجميلةِ الشكل والحِصانِ الضخْم القوي الذَّكي. فيخْرُج من هذا التزاوجِ نَسْلٌ عظيمٌ هو ما يُسمَّى بالخيولِ العربية الأصيلة.. واشتهر هذا النوعُ بين الخيول وصار يَغزو الأسواق في جميع أنحاء العالم. وأصبحَ ثمن الحصان العربي أكثرَ من ثَمَن خمسةِ خيولٍ من سُلالاتٍ أخرى.

والخيولُ العربيَّة الأصيلةُ كما يُسمِّيها الناسُ تتميزُ عن غيرِها بالقوة والسرعة والاحتمال والذَّكاء الخارق في عالم الخيول. فهي قابلةٌ للتدريب على أعمالٍ تحتاجُ إلى ذكاءٍ كبيرٍ كما تتمتعُ بقُدرةٍ فائقةٍ في فهم ما يُلْقى عليها من إرشادات وتدريبات.

والحصانُ والفَرَس يُعَمِّر كلٌّ منهما من عشرين عاماً إلى أربعين عاماً.

وقد سُمِّيت الخيلُ خَيْلاً لاختيالها في المِشيةِ، مما يُضْفِي عليها جَمالاً وفِتْنةً، يَفْتَتِنُ بها الإنسانُ ويميلُ إلى امتلاكِها ميلاً فِطْرياً، لا نستطيع أن ننكرَهُ. لأن الميل إلى الأخْذِ بكل جَميلٍ فطرةٌ فَطَر الله عليها الإنسانَ.

وقد جاءَ في الخبر: «أنَّ الله تعالى عَرَضَ على آدم جميعَ الدواب، فقيلَ له: اخْتَرْ منها واحداً، فَوَقَع اختيارُه على الفَرَس، فقيل له: «اخترت عزك»[1].

وعن أبي هُرَيْرةَ رضي الله عَنْه أنَّ الرسول ﷺ قال:

«الخيل ثَلاثَةٌ: لرجلٍ أجْرٌ، ولرجلٍ سِتْرٌ، ولرجلٍ وِزْرٌ».

وقال أحد[2] العلماء في تفسير هذا الحديث:

---

(١) تفسير القرطبي.

(٢) القول لابن كثير.

«حُبُّ الخيل على ثلاثة أقسام: تارةً قد يكونُ قَدْ رَبَطَها أصحابُها مُعَدَّةً لسبيل الله متى احتاجوا إليها غَزوا عَليها فهؤلاء يُثابُون؛ وتارةً تُرْبَط للتعفُّف واقتناء النّسل دون أن يَنْسى أصحابُها حق الله في رِقَابها فهي لصاحبها سِتْر؛ وتارةً تُرْبَط فَخْراً وتَعاظُماً على بقية المسلمين فهي على صاحبها وِزْرَ».

وقد كرَّم الله هذه الحيوانات بأن ذكرها في كتابه الكريم، وجَعَلَها من النِّعَم الكُبرى التي مَنَّ بها على الإنسان، ويَسَّر لَهُ اتخاذَها عوناً له في معاشِه، ومَظْهراً من مظاهِرِ القُوّةِ، القوةِ التي تُلْقي الرُّعْب في قلوبِ أعداءِ الإسلام كسلاحٍ فعَّال في الحربِ والجهاد، كما ذكرتها السنّة الشريفة حيث قال ﷺ:

«الخيل معقود في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم»[1].

واسم الخيل ذكره القرآن الكريم في أربعة مواضع، بل وأكثر.

---

(١) رواه البخاري.

أولها: في سورة آل عمران حيث يقول جلَّ شأنه:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾[1].

وثانيها: في سورة الأنفال، حيث يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾[2].

وثالثها: جاء في سورة النحل حيث يقول عزَّ وجل: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[3].

ورابعها: في سورة الإسراء وهي قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا

---

(١) آل عمران: ١٤.

(٢) الأنفال: ٦٠.

(٣) النحل: ٨.

يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾[1].

ففي الموضع الأول: بيَّن الله سبحانه وتعالى، أنَّ الإنسان يشْتهي فيما يشتهي اقتناء الخيل، مَثَلُها مثل بَقيةِ الشهوات من النساء والأولاد، والذهب والفضة، والأنعام والأرض الزراعية.

ثم بَيَّن الله جلَّ وعلا، أنَّ كل هذه الشهوات مَتاعٌ قَصيرٌ، لا يدومُ إلا بدوام الدنيا؛ والدُّنيا لا تدوم إلى الأبد فهي دارُ فناء، والمؤمنُ الحقُّ هو من يجعل حياتَه مزرعة لآخرتِهِ فيعمل الصالحاتِ والخير، ويؤدِّي ما عليه لله وللناس، حتى إذا عُرض للحساب يوم القيامة، كانت أعماله الصالحة هي السببُ في سَعَادتِه في الجنة الدائمة.

وفي الموضع الثاني: بيانٌ لأهميَّةِ الخيْلِ في حَرْبِ الكُفار وتخويفِهم يعرضها القرآن الكريم لأنها مَظهَرٌ من مظاهر عِزَّة المسلمين وقوّتهم أمام الكفار،

---

(١) الإسراء: ٦٤، ٦٥.

فأَمَر جلَّ وعلا المؤمنين بإعدادِها وإظهارِها لإلْقاءِ الفَزَع في قلوبهم.

وقد قال حاتم بن زيد في رباط الخيل: «الرِّباط من الخيل، الخمس فما فوقها»، وقال أحد الشعراء:

أَمَرَ الإلٰه بربْطِها لعدوه
في الحربِ إنَّ اللَّهَ خيرُ مُوَفّق

وقال شاعر آخر هو: مكحول بن عبدالله:

تَلُومُ على رَبْط الجيادِ وحبسِها
وقد أوصى بها اللَّهُ النبيَّ محمداً

وفي الموضع الثالث: بَيَّن الله تعالى وظيفةً أُخرى للخيل تشترك بها مع البغال والحمير؛ ألا وهي وظيفة الركوب والزينة.

وفي الموضع الرابع: يخاطبُ الله جلَّ جلالُهُ إبليس اللعين، عندما قال لربّه: إنه سوف يُغْوي المسلمين وَيُزَيِّنُ لهم الشرورَ والذنوبَ هو وأعوانُه، فَيرد عليه الله تعالى متحدياً: «**إنك لن تستطيع أنْت**

ولا جنودك مهما كانت قوتكم، أن تغووا المؤمنين من عبادي سواء منكم الراكبين الخيول أم المشاة الراجلين».

وبصدد الآيتين الآخيرتين، يقول بعض المفسرين: «في هذه الآية دلالة على أنَّ للشيطان جنوداً يَمْتَطُون الخيلَ، وآخرين مُشاة يمشون على أقدامهم، مثلهم في ذلك مثل جيوش الآدميين»[1].

وهناك آياتٌ قرآنية أوردت الخيلَ بصفاتِها لا باسمها، هي في سورة العاديات حيث يقسم الله تعالى بالخيل وبما تَفعَلُه أثناء هجومها على الكفار؛ فيقول فيها:

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾[2].

يُقْسم المولى سبحانه وتعالى بالخيل التي تَعْدو وتَجْري في سبيلِ الله، ولها صوت مَسْموع أثناءَ

---

(١) تفسير القرطبي.

(٢) العاديات: ١ ـ ٥.

هجومِها في مَيْدان الجهادِ ضد الكفار؛ والصوت هو ما وصفه الله بالضبح.

كما يُقْسِم جَلَّ شأنه بالشرَرِ المُتطايرِ من احتكاكِ نعالِها بالصخُور أثناءِ الهُجوم وهو: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾.

ويُقْسم أيضاً بالخيل وهي تهجم على أعداءِ الله مُغيرةً ضمن السرايا التي كان الرَّسولُ عليه الصلاة والسلام يبعثُها إلى القرى والبلادِ ليكتشفَ إيمانَها من كفرها؛ فقد كان ﷺ يُوصيهم بأن لا يَدْخُلوا تلك الأماكن، بل ينتظِروا حتى يحين موعد الفجر؛ فإن سمعوا في البلدة أو القرية آذانَ الفَجْر يُؤذَّن وصلاته تقام، تركوها. وإن لم يسمعوا شيئاً من ذلك، هجموا على أهلِها. لأنهم إما أن يكونوا كُفاراً أَوْ مُسلمين قد ارتدُّوا عن الإسلام.

ويصفُ الله تعالى الخيولَ بأنها تُثيرُ الغبارَ أثناءَ هجومِها، والغبار هو حسب الآية النقع.

كما يصف المولى سبحانَه وتعالى الخيولَ

الإسلامية وهي تتوسَّط القريةَ وتُثيرُ الرعبَ والفَزَع بين الكفار.

وقد فسَّر ابن عباس رضي الله عنه الآية: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ فقال:

«إنَّ الخيلَ الإسلامية المغيرةَ على الكفارِ تتوسَّط جُموعَهُم فتثير فيهم الفَزَعَ والخوفَ وتُسيطرُ على المعركة وتَهزِم الكُفر».

وقَدْ أوصى أميرُ المؤمنين عُمر بن الخطاب رضي الله عنه المسلمين بتدريبِ أولادِهم على الشجاعة إذ قال: «علّموا أولادَكم الرمايةَ والسباحةَ وركوبَ الخيل».

ومما يَجدرُ ذكرهُ أنَّ بعض العلماء قد استدل من الآية الكريمة: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ على أنه يحرم أكل لحوم الخيل، وهذا رأيُ الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان وَمَن ذَهَب مذهبَه من العلماء؛ وحجتُّهم في ذلك أنَّ الله قَرَن الخيلَ مع البغالِ والحَميرِ في الآية وجَعلَها للركوبِ والزينة، وَلحْم كُلٌّ من البغال والحمير الأهلية مُحَرَّمٌ ثابتٌ تحريمه في السُّنَّة النبويّة.

وقد رُوي أنَّ ابن عباس كان يَكرَه أكلَ لحوم الخيل ويقول:

«إنَّ الله تعالى قال: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾ فهذه للأكل، وقال: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ فهذه للركوب».

وبالمقابل لقد أحلَّ أكل لحوم الخيل جمهور العلماء، ومنهم مالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم جميعاً.

ودليلُهم ما جاء في صحيح مسلم: أنَّ أسماءَ بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «نَحَرْنا على عَهْد رسول الله فَرَساً فأكَلناه بالمدينة»؛ هذا إضافة إلى ما ورد من أحاديثَ صحيحةٍ أُخرى تُحلِّلُ أكْلَ لحومِ الخيل.

أبنائي وبناتي الأعزاء: هذه نَبْذَةٌ عن الخيل وأثرُها في نُصْرةِ دين الله تعالى.

فهي حيواناتٌ كريمةٌ كَرَّمها المولى في مُحْكم آياته وشرَّفها بهذه الصفات الطيبة. فما أحوجنا

لمعرفةِ كثيرٍ مما خَلَق الله لنا من نِعَمِهِ رحمةً بنا، وما أجدرنا كلما قرأنا آية من آيات كتاب الله الكريم عن رحمته بنا أو نعمةٍ أَنْعَمَ بها علينا أنْ نقولَ بِقلوبنا وأَلْسِنتنا: «الحمد لله».

وإلى لقاءٍ آخر في سلسلةِ: «ما ورد في القرآن من الطير والحيوان».

أسئلة للمناقشة:

١ ـ مِم اشْتُقَّ اسمُ الحصان؟ ومما اشْتُقَّ اسمُ الجواد؟

٢ ـ متى بدأ الإنسانُ في حِمايةِ حوافِرِ الخيل؟

٣ ـ بماذا يتميزُ الحصانُ العربيُّ عن غيرِهِ؟

٤ ـ ما حُكْم الإسلامِ في تربية الخيول؟

٥ ـ في أي البلادِ تكْثر الخيولُ الآن؟

٦ ـ ما هي أهمية الخيول في الحروب السابقة؟

٧ ـ ماذا قال عُمر ابن الخطاب في شأن تعليم الأبناء الفروسية؟

٨ ـ كيف كرَّم الله تعالى الخيول؟

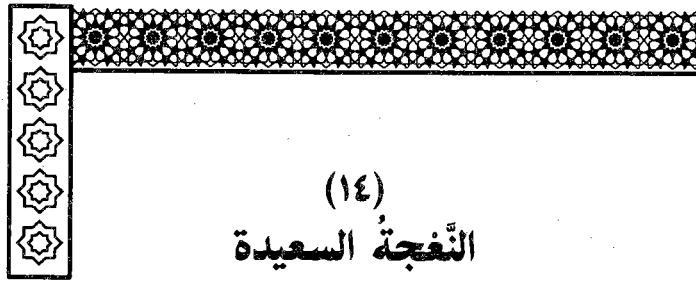

(١٤)
النَّغجةُ السعيدة

لا شك أنكم جميعاً أيها الفتيان والفتيات تَعْرفونَني جيداً، سواء أكنتم من أهل الريف أم من سكان المدن. فأنا النعجة أُنثى الخروف.

والخروف تُشاهدونه كُلّ سنة على الأقل في موسم ديني عظيم، هو: «عيد الأضحى» الذي تُضَحُّونَ فيه بذبح أحد خرافنا، اتِّباعاً للسُنَّة الشريفة في هذا العيدِ الكريم، ولكنكم قد لا تعرفون الكثيرَ عَنَّا، نحن الغنم. وإليكم بعضَ ما خَفي عنكم:

الذكَرُ مِنّا يُسمى وهو صغيرٌ: «حَمَلاً» فإذا كبر واشتدَّ عودُه وأصبح قادراً على قيادة القطيع والتزوّج من نعاجنا، سُمي: «كَبْشاً».

والأنثى الصغيرة مِنَّا، يُطلق عليها اسم:

«الشاة»، فإذا كَبرَت وَوَصَلت إلى القُدرةِ على الحمْل والولادَة سميت: «نعجة».

والعدد الكبير منّا يسمى: «قطيع الغنم»، واسم جنسنا هو: «الضأن».

والكَبش حيوانٌ قويٌ عظيم ذكي، وإذا أردتم أن تعرفوا مدى قوته وعظمته وذكائه، عليكم بمراقبة قطيعنا وهو يَسيرُ بعددِه الكبير، فإنكم سوف تَروْن أنَّ الكِباشَ هي التي تقودُنا، فهي تسير أمامَنا، ونحن جميعاً وراءها سائرون في نظام وهُدوءٍ نلتزمُ الطريقَ دون انحرافٍ أو شرودٍ فإذا وَصَلْنا إلى المَرْعى، وقفت كِباشُنا، دون أن تأكلَ قَبْلَنا فتترك لنا الطعام لنملأ منه بطونَنا، فلا يأكل الكَبْشُ قبلَ نِعاجه، فكأنَّه رَجُلٌ شَهْمٌ، يُوفِّر لزوجاتِه الطعامَ ويَطْمَئِن عليهن قبل أنْ يأْكُل، فإذا بدأنا الطعامَ أكل معنا دونَ شَراهةٍ أو أنانيَّة.

وكذلك عند شرب الماء، فإن الذُّكورَ تَصِلُ قبلَنا إلى الغَديرِ أو النَّهر، ثم تَقِفُ لتنادي علينا بأصواتها التي تُسمُّونَها: «ثُغاء الغَنم»، فَنَردُّ عليها بثُغاء حنون ونُقبل على الماءِ لنَشْرب معاً.

أسلوبُنا واحدٌ لا يتغير سواءً في السير أو في تناول الطعام.

فَعندما نَسيرُ في الطريق فإننا نَتَجمَّعُ ونَتَلاصق، لا تَشْرُدُ إحدانا عن القطيع سواءً كُنَّا نِعاجاً أو خِرافاً أو شِياتاً، وعندما نأكُلُ الحشائش فإننا «نقضُمُها[1] قضماً»، ولا نَجْذُبها من الأرض لتخْرُج بجذورِها كما تفعل «الماعز»؛ فكأننا نُحافِظُ على جُذور الحشائِش حتى تَنْبُتَ مَرةً أخرى.

وراعينا سعيدٌ مُطْمَئِن؛ يَعرفُ طباعَنا ونَعرف طباعه، ونَفهم نداءَه، ونلتزمُ بإرشاده، فلا يتكلّف مشقة في قيادتنا. هكذا خَلَقنا الله جلَّ وعلا، وألْهَمنا الطاعةَ والهُدوء، وقَدْ بيَّن الرسول ﷺ فَضيلة التجمُّع على الحق والتعاون فيه، فقال: «**إنما يأكُلُ الذئبُ من الغَنَم الشاردة**».

والشاة منّا تحملُ وتَلِدُ مرةً واحدة في السنة، وفي الغالب تلدُ مولوداً واحداً، وقد تلد اثنين أو ثلاثة في النادر.

---

(١) القضم: هو قطع الطعام بالأسنان الأمامية.

وبالرغم من ذلك، فإنَّ الله سُبْحانه وتعالى قد بارَك فينا، وجَعَلنا من الحيواناتِ الناميةِ التي تجلبُ الخيرَ والرِّزقَ لمالِكها، وإذا لاحظْتَ اسمَنا وجدتَهُ يدلُ على الخير والنصر، فاسم الغَنَمِ من الغُنْمِ والغنيمة.

ويُشرِّفُنا ويرفَع قدرَنا أنَّ الأنبياءَ المُرْسَلين كانوا رُعاةً لنا، ومحمد ﷺ كانَ يَرْعانا قبلَ الرسالةِ في مكة المكرمة.

ولحومُنا لذيذةٌ مُفيدةٌ، وأصوافنا دفيئة غاليةُ الثمن، تُصنع منها الملابسُ الشتوية، والأغطيةُ الثقيلةُ المُدْفِئةُ التي تَحمي الجِسمَ من البرْدِ مَهما كان قاسياً.

والعربُ مُنذ أقدمِ العصور يعيشون على ما نُنْتجه من اللحم والصوف.

وكانوا يُسمُّون رئيسَ القبيلة الشجاع: «كَبْش القوم»، وكانت المرأةُ الولودُ تُسمى: «نَعجة».

والكَبشُ يعيشُ غالباً عشرين عاماً بينما النَّعجةُ تعيش أقلَّ من ذلك.

ونَحن نتميّزُ على غيرنا من الحيوانات بأنّنا أقلُّ تعرضاً للأمراض. ولذلك فإن صاحب الغَنم دائماً يكون غنياً عزيزاً في قومه، وصدق من قال: «الغَنَم غُنْمٌ وغنيمة»؛ ويُقال لمن يَنْتصر على أعدائِه وَيَسْتَولي على ما يملكونه: «إنه غَنِمَ من أعدائه الغنائمَ العظيمة».

ويَرْجع تاريخُ وجودِنا إلى ما قبل العرب بزمن طويل؛ فقد وُجِدتْ صورُنا مرسومةً على جدران المعابد المصرية القديمة، كما وجدت تماثيلٌ تُمثِّل ذكورَنا. وهذه الأخيرة من منحوتات الأسرة السادسة عشرة من فراعين مصر وآثارها الموجودة في مدينة الأُقْصُر وهي من أعمال صعيد مصر، ولا زالت هذه التماثيلُ قائمةً على جانبي طريقٍ يسمى: «طريق الكِباش»، وهذا دليلٌ على الاهتمامِ بنا منذ آلاف السنين.

ومما يُشرِّفُنا ويَرفَع من قَدْرِنا، أنَّ اسمنا ورد أكثر من مرة في كتاب الله العزيز:

ففي سورة الأنعام قال سُبحانه وتعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ

قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾.

وفي هذا بَيانٌ لجهلِ الكُفارِ من العرب الذين كانوا يُحَرِّمون على أنفسهم بعضَ الأنعام، ويُقَسِّمونَها إلى أنواعٍ ويُطلقون عليها عدة أسماء منها: البَحيرَةُ، السائبةُ، الوصيلةُ.

والبحيرةُ فيما يزعمون هي الناقةُ أو النعجة إذا وَلَدت خمسةَ أبطن، فإذا كان الخامس ذكراً ذبحوه فأكله الرجال والنساء؛ وإن كان أنثى شقوا أُذُنَها وأَصْبح لحمُها ولبنُها حَراماً على النساءِ، حلالاً للرجال؛ فإذا ماتت دونَ ذبْحٍ أكل لحمَها النساء.

أما السائبةُ فهي الجملُ أو الناقة التي يَنذُر صاحبُها نُذُراً للآلهة «إن سلمت من المرض فإنه يُسيِّبُها» «يتركُها»، فلا يمنع عنها مَرعىً ولا ماءً، ولا يحبسها في حظيرةٍ، ولا يَركبها أحدٌ من الناس، بل تُترك حُرةً في تصرُّفِها.

وأما الوصيلة فهي النعجةُ التي تلدُ سبعةَ أبطن، فإذا كان السابعُ ذَكَراً ذُبح وأَكَل منه الرجال والنساء، وإذا كانت أنثى تُركت في الغنم، فإذا

وَلَدت ذَكَراً وأُنثى قالوا: وَصَلت أخاها فلم تُذْبح، وصار لبنها حراماً على النساء حلالاً للرجال، وإذا مات من نَسْلِها شيءٌ أُحِلَّ أكله للرجال والنساء.

والله سبحانُه وتَعالى يَردُّ على زَعْم الكفار، فيبيِّن عزَّ وجل أنَّ المُباحَ هو ثمانيةُ أزواجٍ منها: «اثنين من الغنم» «واثنين من المعز».

والزوجُ هنا بمعنى المُفْرد، أي: الذكر والأنثى كل منهما زَوْجٌ للآخر، فثمانية أزواج، أي: ثمانية أفراد.

وقد نَزَلت هذه الآية الكريمةُ في مالك بن عَوْف وأصحابه حين قالوا: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾.

وَمَرةٌ أُخرى وَرد ذِكرُنا في سورة الأنبياء بالآية الثامنة والسبعين حيث قال جلَّ شأنه: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

وقد نزلت الآيةُ بخصوص قِصَّةٍ حَدَثت في عهد داود وابنه سليمان عليهما السلام، وفحواها:

كان داودُ عليه السلام يَجلسُ يوماً في دارِ قَضائِه يَحْكُم بين الناس بالعدل، وكان المتخاصمون يَدْخُلونَ عليهِ من بابٍ، فَيَقضي بينهم ثم يَخْرجون من باب آخر؛ وسليمانُ عليه السلام كان يَجلِس عند بابِ الخُروج يُراقِبُ خُروجَ الناس من عندِ أبيه. وفي يوم من الأيام، دخلَ على داودَ خَصْمان يَحتَكِمان عنده، وتكلّم أحدهما فقال: إنني أملِكُ بُسْتاناً مملوءاً بالفواكه والأشجار، وصاحبي هذا يملك قطيعاً من الغنم، وفي الليل دخلتِ الغنمُ فأكلَت كلَّ ما في البستان من شَجرٍ وثَمَرٍ وورقٍ حتى أصبح مجرداً من كُلِّ ما فيه، فاحكم بيننا بالحق.

فقضى داود لصاحِب البستانِ بأن يأخذَ الغنَم مُلْكاً له مقابل تَلَفِ بُستانِه، وخرج المتنازعان من عِندِه. ورآهما سليمان عليه السلام وسألهما: بِمَ قَضى بينكما نبيُّ الله؟ فأخبراه بالحكم.

فرَجَع بهما إلى أبيهِ فقال له: إني رأيت حُكْماً أَفضل وأَرْحم للجميع يا نبيَّ الله، فسأَله داود: «وما هو؟» فأجابه سليمان عليه السلام:

«أن نَدْفَع الغَنَم إلى صاحب البستان فيَنْتفعَ

بإنتاجها من اللبن والسمن والصوف، ونَدْفَع الأرض إلى صاحب الغنم يَعتني بها ويصلِحُها، فإذا أُصْلحت الأرضُ وعادت كما كانت، رَدَّ كلٌّ منهما مالَ صاحبه له».

فَملأَتِ الفرحةُ والسعادةُ وجهَ داود عليه السلام وقال لابنه:

«وَفَّقك الله يا بُني! لا حَرَمَنا الله من فَهْمِك»، ثم قضى للخصمين بقضاءِ سُليْمان عليه السلام.

ومن أحداثِ هذه القصة يَتبيَّنُ لنا أنه لا مانِع من أن يُخْطىء الأنبياءُ؛ فهم بَشَرٌ يُصيبونَ ويُخْطِئون كبقيَّةِ البَشر؛ غير أنَّهم دائماً يعودونَ إلى الصوابِ إذا تبيَّن لهم.

وقد قال رسول الله ﷺ في شأن الحاكم:

«إذا اجتهدَ الحاكِمُ فأصابَ فَلَهُ أجْران، وإذا اجتهدَ فأَخْطأ فله أجرٌ واحد».

ويسوقُنا هذا الحَدَثُ إلى ذِكْر حَدَثٍ آخَر شهده عهدُ النبيين داود وسليمان أيضاً؛ وهذا الحدثُ أورده حديثٌ شريفٌ عن نبيِّنا محمد ﷺ، يقول:

روى الإمام أحمد عن أبي هُرَيرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَينَما امرأَتانِ مَعَهُما ابنانِ لهما، إذ جاء الذِّئب فأخذ أَحَدَ الابنين فَتَحاكَما إلى داود، فقضى به للكُبْرى، فَخَرَجتا. فَدعاهما سليمان عليه السلام وقال: هاتوا السكين أَشُقُّه بينكما، فقالتِ الصُّغرى: يَرحمُكَ الله هو ابنُها لا تَشُقُّه فقضى به للصغرى**». خرّج الحديث أحمد وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

ومرة أخرى يَردُ ذكرُنا في سورة أخرى من سور القرآن الكريم؛ يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾.

والقصة التي حدثت وترويها الآيات الكريمة هي:

إنَّ داودَ عليه السلام كان يقسِّم وقتَه بين عباداته وقضائِه للناس بمعنى أنه جعَل لكلٍّ منهما يوماً. وفي يوم عبادتِه، وبينما هو جليس محرابه يتعَبَّدُ وحدَه، فوجيء برجلين يَدْخُلان عليه من أعلى السور بدون إذْن أو تَنْبيه، فأصابَه الفَزَع وخاف منهما، فطمْأَناهُ وَعَرَضا قضيتهما عليه، فقال أحدهما:

إننا نَمْلِكُ معاً مائة نَعْجة، لصاحبي منها تسعٌ وتسعون نَعْجة، ولي نَعجةٌ واحدةٌ، وقد طلب مني صاحبي وهو أبرع مني حجة، أن أتنازل له عن نعجتي. فردَّ داود عليه السلام عليه قائلاً له: «إن شريكك قد ظلمك بهذا الطلب»، ثم تابع حديثه قائلاً: «هناك كثير من الشركاء يظلم بعضهم بعضاً، ما عدا المؤمنين الذين يَعْملون الصالحات وهم قلّة». واختفى الخصمان، وعرف داود عليه السلام أنهما مَلَكَان أرسَلَهُما الله لَهُ ليختبرَه في حُسْن القضاءِ، وراجَع الحوارَ فعرف أنه أخطأ لأنه لم

يَسْأَل الخَصمَ الثاني قبلَ الحُكم عليه بالظلم. وَندِم واستغْفرَ الله، ثم سجد سجوداً طويلاً دعا الله فيه أن يتجاوَزَ عن ذنبه، فغفر الله له.

وقد يتصورُ بعضُ الناس أنَّ هذا ذَنْبٌ صغيرٌ لا يستأْهِلُ كلَّ هذا النَّدَم من داود، ولكننا إذا تَذَكَّرْنا عِصْمة الأنبياءِ، لَعَرَفْنا أنَّ ما قيل من أنَّ: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، حَقٌّ وَصِدْقٌ.

وبَعْضُ المفسرين اعتمدوا على الروايات الإسرائيلية وهي: «إنَّ داودَ كان له تَسْعٌ وتسعون زوجة ولكنه طمعَ في زَوجةِ قائِده «أوريا» فدفع به إلى مقدمة الجيش أثناء الحرب، فقتل، ثم تزوج امرأته».

نقول: إنَّ هذا باطِلٌ وكَذِبٌ وبُهْتان، لا يجوز لأي مسلم أن يُصَدِّقه؛ فالأنبياء معصومون، والروايات الإسرائيلية مغرضة.

وقد رُوي عن عليٍّ ابن أبي طالب أنه قال:

«مَن حَدَّث بحديثِ داود على ما يَرْويه القصَّاص، جَلَدْتُهُ مائةً وستين جلدةً وهي حَدُّ الفريةِ على الأَنبياء».

وجاء اسمُنا أيضاً في موقِعٍ آخر من سورة «طه»، حيث يقولُ المولى مخاطباً موسى عليه السلام الذي عادَ من أرْضِ مَدْيَن ووصل إلى طور سيناء: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾. وفي هذا الحوار يسأل الله نبيَّه موسى عَمّا في يده، وهو أعلم بها، وإنما يَسْأله عن طريقِ المؤانسةِ والملاطفة، ولأن الخطاب بين موسى وبين المولى عزَّ وجل، فقد أحسَّ موسى عليه السلام بالسَّعادةِ والإشراقِ والأَمْنِ والأمانِ بخطابِ الله له، فأراد أن يطيل مُدَّة الخِطابَ فتحيَّن الفرصةَ وأسهب[1] وأطال. ولم يكتفِ بالرَّدّ الموجَز بل أراد أن يستزيدَ من المُتْعة الكبرى والنعمة العُظْمى التي أُتيحت له، فلم يَقُل هي عصايَ وفقط... وإنما قال عليه السلام: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ والهشُّ هنا ليس ضَرباً ولا تخويفاً لنا، وإنما هو هَزٌّ لفروعِ

(١) أسهب: أطال الحديث.

الأشجار بواسطةِ العصا ليتساقط الوَرَقُ الأخضرُ لنأكلَه نحنُ الغَنَم ونَرْعاه.

ويُذَكِّرُنا موقِفُ الانشراح بمخاطبة الله، ما ورَدَ في سورة المائدة من موْقِفٍ يُشْبه موقفَ موسى عليه السلام، ولكنه مع عيسى المسيح عليه وعلى نبيّنا السلام.

والحوارُ الذي يدورُ بين الله جَلَّ جلالُه وبين عيسى سوفَ يكونُ يومَ القيامة عندما يسأله سُؤَال العارفِ الخبير توبيخاً لقومِهِ النَّصارى على رؤوس الأشهاد فيقول له: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾، ثم أطالَ الحديثَ مع ربه ليطيلَ متْعَتَه مع مولاهُ ويَستزيد من هذه النِّعمة الكُبرى فاستأنف القول سَعيداً: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾، ولم يكتفِ بهذا الجواب مع ربه، بل استمرَّ يَرْتَشِفُ من السعادةِ الكاملةِ التي ينالُها طالما كان الحديثُ قائماً مع مولاه؛ فقال: ﴿مَا

قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾، ويستمرّ أيضاً: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾. ولو كان الأمرُ بيدِه لاستمرَّ يُخاطِبُ ربَّه للأبد رغبةً في السعادة المطلقة، وينال عيسىٰ من ربه المنزلة العالية والشهادة الكريمة إذ يقول المولى له: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

أيها الشبابُ من الفتيان والفتياتِ.. هل عَرفتُم ما تجهلونَه من حياتي، كم أنا سعيدةٌ بلقائي مَعَكمْ، سعيدةٌ بما قدّمتُهُ لكم من شَرْحٍ أتمنَّى أن تستفيدوا منه؛ كما أنني سعيدة بأن ذُكِرَ اسمنا في محكم تنزيله سبحانه وتعالى... وإلى لقاء.

النعجة السعيدة

أسئلة للمناقشة:

١ ـ ما اسم ذَكَر الغَنَم؟

٢ ـ ما فوائدُ الغنم؟

٣ ـ كم مَرَّةً تَلِدُ النَّعجةُ في السنة؟ وكم مَوْلودٍ تلدُه غالباً؟

٤ ـ ماذا يُسمَّى الخروفُ الصغير؟

٥ ـ كم مَرَّةً وَرَدَ ذِكْرُ الغَنَم في القرآن الكريم؟ استعِنْ بالقصة.

٦ ـ لماذا أَحَسَّ داود عليه السلام بأنّه أخطأَ عندما حَكَم بين المتخاصمين؟

٧ ـ ما معنى البحيرة، والسائبة، والوصيلة؟

٨ ـ اذْكُرْ قصةَ المرأَتين المتخاصمتين على الطفل أمام داود وسليمان عليهما السلام.

(١٥)
الحوت المبارك

أنا الحوتُ.. هل تعرِفُني؟ هل رأيتَني؟ أم سمعتَ عنِّي فَقط؟ لعلَّك قَرأْتَ اسمي، وقدْ تَكونُ شاهدْتَني في الصورةِ أو في التِّلفاز. على كل حالٍ، سوف أَقُصُّ عليكَ كلَّ ظروفِ حَياتي، لتعرِفَ عنّي كلَّ صغيرةٍ وكبيرة؛ وبذلك تكونُ قد دَرستَ حيواناً مما خلقه الله، وذكره في القرآن الكريم.

اسمي: «الحوتُ»، أنتمي إلى سلالةٍ تُسمى: «الثَّدييات» كما قسمنا العلماء، ويقال: إنَّ أَجدادي هم: «الديناصورات الضخمة»، التي كانت قد غَزَت الأرضَ مُنذ حواليٍّ مائتي مليونَ سنةٍ، ثم انقرَضَت في نهايةِ العصرِ الطباشيري الذي استمرَّ خمسة وخمسين مليون سنة تقريباً؛ وهذا العصرُ هو أحدُ

العصور الجيولوجيَّة التي تكوَّنت خلالها أنواعٌ مختلفةٌ من الصخور.

وكان أَجدادي يَعيشونَ على الأرضِ بطريقةٍ عاديَّةٍ، إذ أنهم كانوا يسيرون على أربعٍ كبقيةِ الحيواناتِ الثَّدْيِيةِ التي تعيشُ على الأرضِ.

وَلَما تَرَكوا اليابسةَ وعاشوا في الماءِ تَطوَّرتِ الأَجسامُ منهم، فَحَلَّ مَحَلَّ تلك الأرجل الأربعة الزعانفُ التي تُساعدُنا على التحرُّكِ في الماء وأنا لا أنتمي إلى فصيلة الأسماك، كما يقول بعض الناس... وأظُنُّ هذا واضحاً كُلَّ الوُضوح مِن خِلالِ معرِفتِكُمُ بِحياةِ الأسماك، فالأسماكُ تَبيضُ ولا تَلِد كما أنها ليست بذات أثداءٍ تُرْضِعُ صغارَها منها.

أما نَحْن الحيتانِ فنلد، ولا نبيض ولنا أَثْداء نُرْضِعُ منها صغارَنا الحليبَ لفترةٍ محدودةٍ حتى تعتمد على نفسها. هذا وإنْ كانَ كثيرٌ من الناسِ يُطْلِقون على الأسماك الكبيرة اسم: «الحيتان» مجازاً.

والدَّليلُ الآخَرُ على أَنَّنا لا ننتمي إلى فصيلةِ

الأَسْماكِ هو أَنَّني أتنفَّسُ بواسطة الرئتين والأسماكُ كما تعلمونَ تتنفَّس بالخياشيم.

وأنا أيضاً أنْتمي بجميع أنواعي المختلفةِ إلى عائلةٍ من ذات الدمِ الحارَ، تُعرف رُتبتُها باسم: «الحوتيَّات».

ونحن نَنْقسمُ بصفةٍ عامةٍ إلى مجموعتين:

الأولى: هي الحيتانُ ذات الأَسنان، **والثانية**: حيتان ليس لها أسنان، بل ذات صفائح قرنية يسميها العلماء: «صفائح بالينية». وهذه الأخيرة تتصل بعظام الفك لتؤدي وظيفة الأسنان.

وأضخَمُنا حَجْماً هو: «الحوتُ الأَزرق» الذي يَصِلُ طولُه نَحوَ ثلاثةٍ وثلاثين مِتراً، ووزْنُه يزيدُ على مائةٍ وعشرينَ طناً. وَهُو يعد من المجموعةِ الثانية، أي: من الحيتان التي لا أسنان لها.

أما طريقةُ طعامِهِ فهي أنه يفتحُ فَمَهُ الواسعَ فيمتلىءُ بكمياتٍ كبيرةٍ من الماء الذي يحتوي على أحياء مائيةٍ كثيرة، ثم يُغْلِقه، وبعد ذلك يدفع الماءَ

بلسانِه إلى الخارج فَتَحْجزُ الصفائح جميعِ ما في الماءِ من أحياء مائيةٍ ثم يبتلِعُها.

وَنحْن نتنفَّسُ ـ كما ذَكَرْتُ ـ الهواءُ الجويّ، بواسطةِ الرئتينِ عن طريقِ فتحتي الأَنف التي توجدُ في أعلى قمَّة رأسِنا، ولذلك فإنه لا بُدَّ لي من إخراجِ رأسي من الماءِ كُلَّما احتجْتُ إلى الهواء.

وقد زوَّدَني الله برئتينِ ضَخْمَتين تَستطيعُ أن تَحويَ كميةً من الهواءِ تكفيني للتنفس لمدة عشرين دقيقة؛ حتى إذا انتهت الكميةُ أُخرِجُ رأسي مرةً أخرى لأتزود بالهواء الجوي بعد أن أَزْفرَ الهواء من رئتيّ.

وَيظهَرُ زفيري كضَبابٍ كثيفٍ عندما يخرجُ من فتحتي أَنْفي بقوةٍ كبيرة واندفاع سريع، وزفيري عبارة عن خليط من الهواء والدقائق المخاطية الكثيفة وهو يشبه الضباب لاندفاعِه السريع القوي.

وهناك من المجموعة الأولى حوتٌ يسمى: «الحوت القاتل»؛ وهو من أشد الحيوانات البحرية شراسة، رغم أنه صغير الحجم قياساً بالحوت الأزرق الضخم، فطوله لا يزيد عن عشرة أمتار،

ووزنه لا يتعدى بضعة أطنان، وفي فكّيه أسنان مدببة مخيفة.

وهناك نوعٌ ثالثٌ يُسمَّى: «الحوت أبو قرْن»، وهُو مِن أَعجَب الحِيتانِ مَنْظراً، إذ يتوفر في ذَكَره نابٌ من العاج حَلَزونيٌّ طويل. وهو ثقيل جداً يبلغ طوله ثلاثةَ أمتار وهو مدبب من الأمام، وهذا النوع يعيش في المنطقة المتجمدة الشمالية.

أما حوت العنبر فهو ذو أسنانٍ أيضاً، ولكن أكبر حجماً من الحوت القاتل، فقد يصلُ طولُه إلى عشرينَ مِتراً، ويوجدُ في أمعائِهِ العنبرُ الذي يُستخدمُ في صناعة بعض العطور.

وهناك نوعٌ آخر يسمى: «الدلفين» وهو يعتبر من ألطف الحيوانات البحرية وأظرفها وأذكى الأحياء المائية بعد «الأخطبوط». يقول علماء الحيوان: «إنَّ أذكى الحيواناتِ البحرية هو الأخطبوط ولكنَّهُ سريعُ النِّسيان».

والدُّلْفين حُوتٌ مَرح ذَكي فَكِهٌ، يَسْتخدِمُه أصحابُ الملاعبِ للتسلية. وهو حيوانٌ مُسالمٌ جَميلُ الشكلِ خفيفُ الحركة، يحب الإنسان ويداعبُهُ وَهُو

قابلٌ للتدريب بشكلٍ عجيب. ولعلَّك شاهدتَهُ وهو يَلْعَب كُرة السلةِ في التلفزيون على شاطىء أحد البحار.

والدّلْفين من أصغرِ الحيتان، فطوله متران أو دون ذلك؛ وهو سَريعُ السِّباحَة حتى أنَّ سرعته في الماء تصل إلى أربعة وستين كيلومتراً في الساعة ويُمكِنُه أن يقفِزَ خارج الماءِ لمسافةِ أربعةِ أمتار.

وحركتُنا نحن الحيتانِ تختلفُ اختلافاً رئيسياً عن حركةِ السمَكِ في الماء.

فَنحْنُ نتحرَّكُ بتموجاتٍ رأسيَّة، أيْ: نتحرَّكُ عُلْوياً وسُفْلياً فقط بينما الأسماكُ تَتحرَّكُ إلى جميع الجهات، والسبب في ذلك أنَّ زعانفَنا الذيلية أُفقيةٌ وليست رأسيةٌ كما في الأسماك.

وقد ذَكَرَني الله جَلَّ وعلا في مُحْكَمِ تَنزيله أربعَ مَرَّات، وَلكلِّ مَقامٍ مقال.

ففي المرةُ الأولى قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا

وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾[1].

فقد جعلنا الله سبحانَه وتعالى أداة لإثبات خداع اليهود، وَجَشَعِهِم، وَحُبِّهم للمال، وَعَدَمِ وَفَائِهم بالعهدِ مع نبيِّهم وربِّهم؛ كما سبق وبيَّنَّا في قصة: «القرود اليهود» المنشورة في هذه السلسلة.

وكان جَزاؤهم كما ستجدُ في القصة ذاتها، أَنْ مَسَخَهم الله قروداً وخنازير.

أما الموقعُ الآخَرُ الذي جاءَ فيه اسمُنا فهو في سورة الكهف حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا

---

(١) الأعراف: ١٦٣.

عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[1] إلى آخر الآيات.

والقصة الواردة في تفسير هذه الآيات الكريمة، قِصةٌ جميلةٌ رائعةٌ ومفادها: «أنَّ موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل يوماً، فسأله قومه: أيُّ الناس أعلم؟ فردَّ عليهم بأنه هو أَعْلم البشر، فعتب الله سبحانه وتعالى عليه، وأوحى إليه بأنه لَيْسَ أَعلَم الناس كما قال: بل إنَّ هناك عَبْداً من عبادِ الله يُقيمُ بمجمع البَحْرين هو أعْلمُ من موسى. وقيل: «إنَّ مَجْمع البحرين هو بحر الأَندلس من البحر المحيط».

وعندما سَمع موسى عليه السلام هذا الكلامَ، تشوَّقتْ نفسُهُ الفاضلةُ وهمَّتُهُ العاليةُ ليحصلَ على عِلْم لا يعلمه، ويتعلَّم من هذا العبدِ الصالح العَالِم، وَلما سَألَ الوحْيَ عَنْهُ ليُسافِرَ لَه ويَلْتقيَ به، أخبرَهُ الوحْيُ بأنَّ عليه أنْ يَحملَ حوتاً مُمَلَّحاً مَعَهُ في سلة، ويسافر نحو

---

(١) الكهف: ٦٠ ـ ٦٥.

مجمع البحرين وهناك سوف يَلتقي بهذا العالم عندما يضيعُ منه الحوتُ المملَّحُ.

وصَمَّمَ مُوسى على هذا اللِّقاءِ، ولو كلَّفَهُ ذلك مِئات السنين مُسافراً وهكذا كان؛ وقد اصطحب معه خادمَه الشابَّ كرفيقٍ لهُ في الرِّحلة.

والحكمةُ في ذلك، أَنَّ على الإنسانِ أن يَحرِصَ على طَلَب العِلم مهما كلَّفهُ ذلك؛ وأن يتخذَ الرفيقَ الذي يُساعدُه في هذه الرحلة مِمنْ يَثِقُ بهم.

ويقرر بعضُ العلماء أن هذا الفتى هو: «يوشع بن نون بن أفرانيم بن يوسف عليه السلام» وبعضهم يقول: «إنَّ فتى موسى هو ابن أخته»، وسار موسى وفتاه، حتى وصلا مَجْمَع البحرين؛ عندئذٍ نَسِيَ غُلامُه السلَّةَ عند صخرةٍ كانا قد استراحا عندَها. ثم استيقظا وتابعا سيرهما.

ولما أحسَّ موسى بالجوع طَلَب من غلامه أن يأتي بالسلّةِ ليَطْعما مما فيها من غَداء. عندئذٍ اكتشفا ضَياعَ السلَّةِ وفيها الحوتُ المملَّح. وتذكر موسى ما

أخبرَهُ بهِ الوَحْيُ، وعَرف أَنَّه أَوْشَك لِقاء العبدِ الصالحِ العالِم.

فعادا راجِعيْن إلى الصخرة، وبعد مسيرة قصيرة شاهدا «الخضر عليه السلام» فوق سُجَّادةٍ خَضراء وهو مدثر بثوبٍ أحد أطرافه تحت قدميه؛ بينما الطرف الآخر تحت رأسه.

سلَّم عليه موسى، فكشَفَ وَجهَهُ، وسأله مَن أنتَ؟ فقال موسى عليه السلام: أنا موسى.

فقال الخضر عليه السلام: هل أنْتَ موسى بني إسرائيل؟ فقال: نعم. فَقال الخضْرُ: فماذا تُريد مني يا موسى؟ قال: جئتُ لتعلِّمَني مما علَّمك الله، ثم صارت بينَهما قصةٌ رائعةٌ جميلةٌ اكتشف منها موسى عليه السلام أنَّ الخَضْرَ يتوفر لديه من العلم ما ليس عنده. هذه قصتي مع موسى والخضر عليهما السلام.

أما الموقع الثالث فهو في سورةِ القَلم حيث يقولُ المولى لسيدنا محمد ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن

تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ . . .﴾[1]، والقصة التي تحكيها الآيات هي قصةُ نبيّ الله «يونس بن متّى عليه السلام».

فَقد بَعَثَهُ الله إلى أهْلِ «نِينوىَ»، وَهيَ قريةٌ في أرضِ الموصلِ بالعراق ليدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى. فكذَّبُوه، وتمادَوا في كُفْرِهم فلم يصبر عليهم كما صَبَر أُولوا العَزْمِ من الرُّسُل، وخرج من القرية غاضِباً، بعد أن تَوعَّدَهُم بالعذاب ـ بعد ثلاث. ثم اتّجه ناحية البحر، وركب سفينة مع قومٍ كانوا يُسافرون بحراً.

وفي عرْضِ البحر قامت عاصفةٌ شديدةٌ، وتأَرْجَحت السفينة وأوشَكَت على الغَرَق، واجتمع الركابُ وتَشاورُوا في أمرِهم، كيف يتصرفونَ أمامَ هذه المشكلة الخطيرة. وأخيراً قرَّروا أنَّ السفينة لن تنجو من الغرق إلا إذا خففوا حمولتها، وذلك بأن يُلْقيَ أحدُ الركاب بنفسِه في البحر حتى يَنْجُوَ

(١) القلم: ٤٨ ـ ٥٠.

الآخَرون، وَلكن.. مَن مِن الركابِ يُلْقي بنفسِه إلى الهلاك؟

ووَجدوا أنهم لا بُدَّ وأن يعملوا قرعة، والقرعة هي:

أن يكتبوا كل اسم من أسماء الركاب على قطعةٍ من الجلدِ صَغيرةٍ؛ ثم يضعونَها في كيسٍ مُغْلَق بعد أن يعمدوا إلى خلطها. وبعد ذلك يمد أحدُ الرُّكاب يَدَهُ في الكيس ودُونَ أن يَنظر، يُخْرِجُ إحدى هذه القطع، ثم يقرؤون الاسم المكتوب عليها، وصاحبُ الاسم هُو مَن تقع عَليه القُرْعَة، وعليه أن يُلقيَ بنفسِهِ في البحر دون احتجاجٍ أو امتناع، واتفقوا على ذلك.

وبالرَّغم من عَمَلِ القُرْعةِ ثلاثَ مراتٍ، فإنها وقَعَت على يونسَ عليه السلام، ولم يجدْ بُداً من إلقاءِ نفسِهِ في الماء.

وبإذن الله وإرادتِهِ، ووَحْيٍ مِنه سُبحانَه وتَعالى، جاء إليه أَحدُ أَجدادي من الحيتان الكبيرة - ويقال: إنه حوتٌ أزرقٌ ضخم - وابتلع يونس عليه السلام. وأوْحى الله إلى جَدي هذا بأن لا يؤذي نبيَّه

يونس بن متى عليه السلام، والتزم الحوتُ بأمرِ الله ووحْيه فلم يُصِبْه بأذى.

وعاشَ يونسُ عليه السلام في جَوْف الحُوت، تُحيطُ به ظلماتٌ كَثيفةٌ وأَحسَّ بالضِيق والفَزَع، ولم يجدْ مَلْجأً يَلْجأ إليه إلا الله سبحانه وتعالى. فاتّجه بكل كيانِه إلى مَولاه يُسَبِّحُه ويستغيث به قائلاً: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[1].

واستجاب الله دُعاءَه ونجَّاه بقُدْرَتِه، وأوْحى إلى الحوت بأن يَلْفُظَه[2] على شاطىء البحر ويُقال: إنَّ الحوت قد لَفَظَه على شاطىء اليمن.

وَخَرَجَ إلى اليابسةِ مَريضاً سَقيماً بَعْدَ أن عاش في بَطْنِ الحُوت ثلاثةَ أيام، وَقيلَ: سبعةَ أيَّام. وقال بعضُ المفسِّرين أنه لَبثَ في بَطن الحوتِ أربعينَ يوماً حفظهُ الله فيها من الموت بقدرتِهِ وعنايتِهِ، ولأنه

---

(١) الأنبياء: ٨٧، ٨٨.

(٢) يلفظه: يخرجه من بطنه عن طريق فمه.

سَبَّح رَبَّه وَهُوَ في ظلماتٍ بَعضُها فوقَ بعض؛ يقول تعالى في ذلك: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[1].

وعَاشَ يُونُسُ على الشاطىءِ فَترةً من الوقتَ حتى استردَّ صحتَه، واستغْفرَ ربَّه بعد أن شَعَرَ بخطئِه، وعاد إليه الوَحْيُ، وأمره بالعَوْدة إلى قومه بعد أن أخبرَهُ أنهم آمَنوا بالله بَعْدَ أن تركهم.

وعاد يونُسُ إلى قومِهِ الذين استقبلُوه بالفَرحِ والتصديقِ برسالته، وجاءه أكثرُ من مائةِ ألفٍ لِيُعْلِنوا إيمانَهم على يَدْيهِ سعداء بعَوْدَته إليهم.

هذه هي قصصُنا نحن الحيتان. وَرَدت في القرآن الكريم حيث كنّا فيها أطرافاً مؤثرة أراد الله أن يُبيِّن قدرتَه للناس جميعاً وللرسول ﷺ. شَرَّفنا المولى جلَّ وعلا بذِكْرِ اسمنا في مُحْكَم آياتِه

(١) الصافات: ١٤٣، ١٤٤.

فَحمْداً لله وشكراً له على نعمتِه علينا. وإلى لقاء آخر إن شاء الله.

أسئلة للمناقشة:

١ ـ لماذا لا تَنْتَمي الحيتانُ إلى فصيلةِ الأَسماك؟

٢ ـ اذْكُر أنواعَ الحيتانِ التي وَرَدت في القصة.

٣ ـ كيف يأكُل الحوتُ؟ وكيف يَتَنَفَّس؟

٤ ـ اذْكُر أَذْكى أنواعِ الحيتان؟

٥ ـ ما الحكمةُ في أنَّ موسى عليه السلام أَخَذَ مَعَه في رحلتِهِ فَتَاهُ؟

٦ ـ مَن هو العبْدُ الصالحُ الذي كان علَّمه المولى عزَّ وجل أكثر من موسى؟

٧ ـ من أي نوعٍ كان الحوتُ الذي ابتلعَ يونسَ عليه السلام؟

٨ ـ أَين لَفَظ الحوتُ يونسَ عليه السلام؟

٩ ـ كم من الزمنِ بَقيَ يونسُ في بَطْنِ الحوتِ قبلَ أَن يَلْفُظَه؟

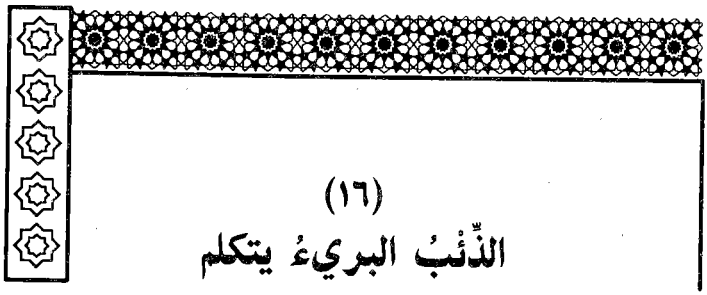

(١٦)
الذِّئْبُ البريءُ يتكلم

إنَّ مَنْ يَسْمَعُ ذِكْرَ اسمي يتبادرُ إلى ذِهنه فوراً: الخدَاعُ والخُبْثُ والمُراوغةُ وإضمارُ السوءِ والشرِّ، حتى أنَّ الناسَ تَصفُ الرجلَ المخادعَ الشرِّيرَ بأنَّه ذِئْبٌ، كما يقولونَ عن أَصحاب الجرائم الوحشيَّة: «إنَّهم ذِئابٌ بَشريةٌ». وارتبط اسمي على مرور الأيام بالعدوانِ والشرور.

والله يَعْلَمُ أَنني بريءٌ مَظلومٌ أشد الظُّلْم، في إطلاقِ هذه الصفاتِ السيِّئةِ عليّ، فَما أنا إلا حَيوانٌ مِسْكين، خَلَقَني الله تعَالى كبقيةِ الحيواناتِ المفترسة آكلة اللحوم. غير أنني أختلفُ عن كثيرٍ منها، فلا آكلُ إلا اللحوم، واللحوم فقط.

وبالرَّغْمِ من انتمائي إلى فصيلةِ الكِلابِ فإنّني

لا آكل كثيراً مما يأكلونه، فالكلاب قد تأكلُ الخُبزَ والفواكه أحياناً، كما تأكل بقية أطعمة الآدميين المطبوخة، أما أنا فلا أتناول هذه الأطعمة.

ولذلكَ فأنا في الغالب، لا أَجدُ ما يَكْفيني من الغِذاء مما يجعلُني دائماً مَعرَّضاً للموْت جُوعاً؛ فالجوعُ يُلازمُني صَيْفاً وشِتاءً، والضعفُ والهزالُ أصبحَ مَظْهراً مِن مظاهِر حَياتي، لا أستطيعُ الاسترخاءَ والنومَ كبقيَّةِ الحيوانات. ونادراً ما تراني مُمتلىءَ الجسم، مفتول العضلات. فأنا أقضى أغلبَ حياتي جائعاً ساهراً أعوْي مِن شدةِ الجوع؛ وأبحثُ هُنا وهُناكَ عن الطعامِ الذي يَحْفَظُ عليّ حيَاتي.

أَمّا شَكلي ومَظْهري الذي يخدع كل من يراني، فيتخيل فيه صفاتَ الخُبْثِ والدهاء والعدوان والشر، فلا ذنب لي فيه. وإنما يرجع الذَّنْبُ فيهِ إلى الهُزال المستمر؛ فعينايَ مفْتوحتانِ دائماً من أَثَر الضعف، أتلَفَّتُ يميناً وشمالاً من شدةِ الخوْف، ولكنَّ بعض النَّاس تَعرِفُني جيداً، وتَشْعرُ بأَنَّني أقل شراً وسوءاً من كثير من البشر المضللين المخادعين. وقد أَنْصَفَني بعضُ الشعراءِ الأَذكياءِ فقال:

عَوى الذئبُ فاستأْنَسْتُ بالذئبِ إذ عوى
وَصَـوّتَ إنـسـانٌ فَـكـدتُ أطـيـر

مُبيِّناً في هذا البيت أنَّ هناك الكثير من الناسِ أسوأ خُلُقاً وأشد خَطَراً على البشرِ مني.

حجمي ليس كبيراً، فأَنا لا أفوقُ أيَّ كَلب كبير في ارتفاعه، بل إنَّ هناك أنواع من الكلاب أكبر مني حَجماً، وأطول مني قامةً.

ارتفاعُ جِسمي لا يَزيدُ عن تَسعينَ سنتيمتراً، أما طولُ جسمي بما فيه الذيل فلا يتجاوز متراً ونصف المتر منه حوالي أربعين سنتيمتراً طول ذيليَ وحده.

أَقْضي حَيَاتي في الغاباتِ والأَحراش، وأفترسُ الحيواناتِ الصغيرةَ كالأرانب البريَّةِ والفئرانِ، فإذا لم أجدْها، أبحثُ عن غيرِها من الطيورِ لأَسُدَّ رَمَقي، وقد يَدْفَعُني الجوعُ إلى مُهاجمةِ حيوانات أكبرُ مني حجماً كالأغنامِ والماعز؛ وأحياناً أُجازفُ بمهاجمة الخنازير الشرسَةِ فأعرِّضُ نفسي للخطرِ والموت، ولكنه الجوع وغريزة الحِرصِ على الحياة. ويكونُ

الخَطَرُ أكبرَ إذا دَفَعَتْني الغريزةُ نفسُها إلى مهاجمةِ الماشيةِ الكبيرةِ أو الخيولِ أو الحمير، وهذا عندي من أصعب الأمور لأن المعركة بينَنا ليستْ مأمونةَ العواقِب؛ فقد أَموتُ أَو أُجْرحُ من رفسةِ حمارٍ أو حصانٍ أو عَضةِ خِنزيرٍ شَرِس.

ولكنَّهُ كما قُلْتُ: الجوعُ هو الذي يَدْفعُني إلى تلك المعارك غير مأمونة العواقب؛ وقد يدفعُني هذا الحالُ الصعبُ إلى مُهاجمةِ إنسانٍ أعزل أَلقىٰ بِهِ سوءُ الحظ في طريقي، وأنا جائِعٌ، فلا أتردَّدُ في مهاجمتِهِ وافتراسِهِ.

ويَصِفُني بعضُ علماء الحيوان بأنني من فصيلةِ السِّباع نظراً لظروفِ حَياتي ونوعيةِ طعامي، ولكنَّهم مخطئون في ذلك. فالسِّباع هي الأسودُ والنمورُ والفهود والضِّباع وغيرُها من الوحوشِ القوية الجسم، السريعة الوثْبِ الكبيرة الحجم. وهي تستطيع بما وهبها الله من قُوَةٍ، أن تحصلَ على طعامِها بسهولةٍ ويُسْرٍ أكثر مني.

وقد شَرَّفني سبحانَه وتعالى بأن ذكر اسمي

في كتابه الكريم حيث جعلني المولى جلَّ وعلا طَرَفاً في قصةٍ قرآنيةٍ مِن أحسنِ القَصَص، وأعظمِها موضوعاً وأحداثاً كُنْتُ فيها المظلومَ المُفترَى عليه. وهي قصةُ يوسف عليه السلام التي وَرَدَ فيها اسمي ثلاث مرات حيث يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا

ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾[1] صدق الله العظيم.

والقصةُ كما وَرَدت في كتابِ الله، تَدُلُّ على مَدى الظُّلْم الذي استهدفنا نحن الذئاب. إذ وُصِمْنا بعار تُهمة باطلةٍ نحن منها أبرياء، لقد اتُّهِمَ أحدُنا بأنه افترس نبيّاً من أنبياء الله تعالى ظُلماً ولذلك فإن بعض الناس يَصِفُون المظلومَ الذي يُتَهم ظُلماً، فيقولون عنه: «إنه بَريءٌ بَراءَةَ الذئبِ من دمِ ابنِ يَعقوب» والقصة التي أوردها القرآنُ الكريمَ بأسْلوبٍ رائعٍ جميلٍ، وآياتٍ بَيِّناتٍ تَدُل على الإعجازِ البَيَاني في القرآنِ الكريم وتُعتبرُ عِبْرَةً لجميع البشر.

(١) يوسف: ٧ ـ ١٨.

مكان القصة

مَسرَحُ القصةِ مِنذُ بدايتها بلادُ الشام حيث يعيش نبيُّ الله يعقوب عليه السلام وأبناؤه الإثنا عشر في منزِلِهم بالبادية.

أما مصر، فقد كان يحكمها في هذهِ الفترة «الرُّعاةُ» الذين أَطْلَق عليهم الفراعنةُ اسمَ: «الهكسوس» كراهيةً لهم ـ لأنَّ مَعْنى كلمةِ الهكسوس باللغةِ المصريةِ القديمة: «الخنازير» أو «رعاةِ الخنازير».

ومن خلال هذا يَتَحدَّدُ لنا تاريخُ وجودِ يُوسف عليه السلام في مصر وهو عهدُ الأُسرةِ الثالثة عشرة من الأسرِ الفرعونيةِ القديمة.

وذلك لأن الفرعونَ أحمس هو الذي طرَدَ الهكسوسَ بعدَ هَزيمتِهِم في بدايةِ حكم الأسرةِ الثامنة عشرة.

والدليلُ على ذلك أنَّ القرآن الكريم ذكر الحاكمَ باسم الملك وليس باسم فرعون، ويتَّفِقُ العلماءُ على أنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ

كانوا يعيشون قريباً من هؤلاء الرُّعاةِ الذين عرف الهكسوسُ منهُم شيئاً عن دين الله.

ومنه قول النسوة في قصة يوسف: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾. وفيه أيضاً قول العزيز لامرأته وليوسف: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾[1].

هذه نبذة تاريخية عن تلك الفترة الزمنية التي وقعت فيها أحداث قصة يوسف عليه السلام رأينا أن نوردَها هُنا لنربُطَ بين الأحداثِ المُثيرة وبين أزمنتها.

نعودُ لنسْردَ قصةَ يوسف عليه السلام التي ذَكرَها القرآنُ في سورةٍ سُمِّيت باسم هذا النبيِّ الكريم سورة: «يوسف» فنقول:

القصة

كان لنبيِّ الله يعقوب عليه السلام اثنا عشر ولداً ذَكَراً أَنْجَبَهم من أربع نسوة: فقد تزوّج أولَ ما تزوَّج ابنةَ خالِه «ليا بنت ليان بن ناهز بن آزر»، فولدت له خمسة أبناء هم على الترتيب: «روبيل»،

---

(١) يوسف: ٢٩.

و«شمعون»، و«لاوي»، و«يهوذا»، و«زبالِون»، و«يساخر».

ثم تسرَّى[1] بجاريتين فأنجبَ منهما أربعةَ أبناءٍ، هم: «دان»، و«نفتالى»، و«جادٌ»، و«آشر».

وبعد أن تُوفيت «ليا» تزوَّج من أُختِها «راحيل» التي وَلَدتْ له «يوسُف» و«بنيامين»؛ ثم توفِّيَتْ راحيلُ بعد ولادةِ بنيامين مِن مَرَضِ النّفاس على حد قول أحد المفسرين وهو: «السدي». أما ابن جرير فقد قال: «لم يَقُمْ دليلٌ على مَوْتِ راحيل أُمِّ يوسف وبنيامين؛ وظاهرُ القرآنِ يَدُلُّ على بقائها حية ترزق؛ ذلك في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[2]».

ونظراً لظروف الصغيرين، زاد اهتمام يعقوب عليه السلام بهما رَحْمَةً بِضَعْفِهِمَا، وشفَقَةً على طفولتِهما الغضّة، التي تحتاجُ إلى الرِّعايةِ والحنان.

وقد يكون يعقوب عليه السلام قد عرف أنَّ يوسف عليه السلام، سوف يكون نبيّاً مرسلاً، ثم

---

(١) تسرى بهما: عاشرهما معاشرة ملك اليمن.

(٢) يوسف: ٩٩.

تضاعَف حُبُّه له واهتمامُهُ بعد أن رأى رُؤْيَاه التي قَصَّها على أبيه يعقوب؛ ومفادها أنه رأى في منامه أحَدَ عشرَ كوكباً والشمسَ والقمرَ يَسْجدون له.

عندئذٍ تأكدَ يعقوبُ من اختيار الله ليوسف كي يكونَ نبياً، فازدادَ خوفُه عليه فَنَصَحَهُ نصيحة الأبِ المُخْلصِ وقال له: «لا تقصّ هذه الرُّؤيا على إخوتك حتى لا يُوسوس لَهُمُ الشيطانُ بالكيْدِ لك»، ثم أفصح له وأبان بأنه سيكون نبيّاً يَرِثُ النبوّةَ عنه وعن أجداده إبراهيم وإسحاق، كما أخبرَهُ بأن النُّبوَّةَ سوفَ تَسْتَمِرُّ في آلِ يَعقوب.

ومِن خِلالِ اهتمام يعقوب عليه السلام بِوَلديْه يوسف وبنيامين، أحسَّ الأخوةُ العشرة بالغيرة، وألْقى الشيطانُ في قلوبهم الحقدَ على يوسفَ بالذات، لأنَّ أكثرَ رعايةِ يعقوب قد انصبَّت عليه، ودار بَينَهُم حوارٌ في كيْفيَّة التخلُّص من يوسف: إما بقتلِهِ أو خطفِه وإلقائِه في أرض بعيدةٍ عن أبيه ليكون حُبُّ أبيهم موزعاً بينهم بعده.

وبعْدَ جَدَلٍ ومُناقَشةٍ وأخْذِ وَرَدٍ، اتفقوا على أن يُلقُوهُ في جُبٍّ عميقٍ مُظلمٍ وأن يهدِّدوا أخاهُ بنيامين

بالقتل، إذا حاول أن يُخبِرَ أباه عما فعلوه.

واختاروا ليوسف جُباً عميقاً يَبْعُدُ عن منازِلهم ثلاثة فراسخ، وقد قيل: إنَّ هذا الجب كائن في الأردن.

ونفَّذوا مُخَطَّطهم بأَنْ ذَهَبوا إلى أَبيهم يَصْطَنِعون المودَّةَ ليوسفَ ويَطْلُبون مِنه أن يُرسلَه مَعَهُم إلى المراعي ليلعبَ ويتسلّى خيراً من حَبْسِهِ في المنزل وحدِهِ، ويَردُّ عليهم الشيخُ الكبير: بأنه يَخافُ على يوسفَ أن يأكلَه الذئب وهم غَافِلُونَ عَن حراستِه بالرَّعي والرِّماية والسِّباقِ.

فأظهَروا لأبيهم الدهشةِ والعَجَبَ من خَوْفِهِ عليْه من الذئبِ وهُو مَعَهم، وقالوا: نحن عُصبةٌ كبيرةُ العددِ تَرْعى الإبل والغنمَ بحرصٍ وعِنايةٍ، فإذا عَجزْنا بعَددِنا هذا عن رعايةِ أخينا فنحن ولا شَكَّ نَعْجَزُ عن دَفعِ الذِّئبِ عن أغنامِنا.

وقد أَخذوا الكلمةَ مِنْ فَمِهِ «الذئب»، ليجعلُوها عُذْراً لهم فيما سيفعلوه بأخيهم بعد ذلك.

وَسَمَحَ لهم يعقوبُ بمصاحبةِ أخيهم يوسف

على مَضَض، بعدَ أن أكَّد عليهم بعدم الغَفْلة عنه.

وقد أظهروا ليوسفَ المودةَ والحبَّ أمامَ أبيهم، فلما ابتعدوا به وغابوا عن أَعْيُن أبيهم، انقلبوا عليه يؤذونَهُ بالقولِ والفعلِ شَتماً وضَرباً، ثم ألقوا بهِ في الجُبِّ المملوءِ بالماء بعد أن نَزَعوا عَنْهُ ثيابَه وَتركُوه عارياً، فكادَ يَغْرق لولا أن صَعَدَ على صَخْرةٍ كانت في وَسطِ الماء، وانصرَفوا تاركينَ يوسفَ وحدَه، فأَصابَهُ الفَزَعُ والحَزَن. ولكن الله أوْحى إليه عن طريقِ جبريل عليهِ السلام، بأنّه سَينْجو من هذا الخطر ثم يكون نبيّاً مرسلاً، وسوف ينتصرُ على إخوتِهِ وسَتَعْلو درجَتهُ، ويرتفعُ ذِكْرُه، وعندئذٍ سوف يُخْبِرُهُم بسوءِ فِعْلِهم به، واطمأنَّ قلْبُ يوسف وزال خوفُه وفَزَعُه ورَضِيَ بقضاءِ الله وَقَدَرِهِ.

أما إخوتُه فقد هدَّدوا «بنيامين» بالقَتْلِ إن هوَ أخبرَ والدَه عما فعلوه، ثُمَّ عادوا إلى أبيهم يتصنَّعون البكاءَ والحُزْن ويخبرونَهُ بأنَّ الذئبَ قد غافَلَهم وأَكَلَ يوسُف، وزيادةً في حَبْكِ القصةِ الكاذبةِ، ذَبَحوا شاةً ولطَّخوا بها ثوبَ يوسُف، ولكنهم نَسَوْا أن يُمَزِّقوا القميصَ أو يَخْرِقوه، فلما أخذَ يعقوبُ عليه السلام

قميصَ ابنِهِ لِيَشُمَّ مِنْه رائحَتَه ويَبْكي ما شاء له البُكاء اكتشفَ أنَّ القميصَ سَليمٌ ليسَ فيه أيُّ أثرٍ من أنيابِ الذِّئْبِ أو مخالبِهِ، فَعَرفَ مَكيدةَ أبنائِهِ؛ واكتَشَفَ كَذِبَهم، وسلَّم أمرَه إلى الله قائلاً لهم: أنتم كاذبون في ادّعائكم، فكيف يفترسُهُ الذئبُ دون أن يُمزِّقَ قميصَه؟ إنكم فَعَلْتم أمراً خطيراً بأخيكم؛ ولكنني سأَصْبرُ صَبراً جميلاً والله يعينُني على التحملِ.

نعودُ ليوسفَ في الجُبِّ، فنجدَه مُطْمَئِناً هادئاً واثقاً من رَحمةِ ربِّهِ بعدَ زيارةِ جبريل له وَيَسْتَمِرُّ على هذا الحالِ ثلاثةَ أيامٍ لا يَصْرخُ ولا يَسْتَغيث.

وَتَمُر قافلةٌ من قوافِل التجارة المتجِّهة نَحْو مصر، ويُنْزِلونَ رحَالَهم للراحةِ وجَلْب الماء قريباً من البئر، ويُرْسِلون أحدَهم وكان اسمه: «بشير» ليُحضِرَ لَهُمُ الماء، وَيُدْلي بشيرٌ الدَّلوَ في البئر فَيَعْلق يوسفُ بهِ وَيَخْرُجَ مع الدَّلْو فيفرَح بشيرٌ وَيسْتَبْشِر وَيُنادي على زميلٍ له اسمه: «بُشْرى» فيقول وهو سعيد: «يا بشرى هذا غلام جميل». كُلُّ هذا وإخوةُ يوسُفَ واقفون، ويوسفُ يَراهُم ولكنه يَخافُ أن يكلِّمَهُم حتى لا يقتلونه، ويبيعُهُ إخوتُه للتجار ويقبضونَ مِنهمُ

الثمن، وهو مَبْلغٌ قليلٌ لا يُعادِلُ أكثَرَ مِن ثلاثةِ دنانير.

ويأخُذُهُ التجارُ كبضاعةٍ وَيَبيعُونَه لوزيرِ المَلِك في مِصر، وكان اسمُهُ: «قطفير»، وكان هذا الوزير القيِّمُ على خزائِنِ المملكة رَجُلاً طيّباً بينما كان يسمى الملك: «الديان بن الوليد» وهو من ملوك العماليق.

وكان قطفيرُ مُتَزوِّجاً من امرأة جميلة تُسمّى: «زليخا» وليسَ لَهما أولاد، فَأَوْصَاها زوجُها بالعنايةِ بيوسفَ ليكونَ لَهما ابْناً.

وَعاش يوسفُ في بيتِ قطفير مُعَزَّزاً مُكَرَّماً، وتَوَلَّتْه عنايةُ الله سبحانه وتعالى؛ فعلَّمَه الله ﴿تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ وهي تفسيرُ الرؤى[1] وآتاهُ من العلْم الكثيرِ وَتَمَّتْ نبوّتُه عليه السلام وازدادَ وَجْهُهُ إشراقاً كما ازدادت ملامحه نُبْلاً وَجَمالاً.

وحاولت «زليخا» امرأةُ العَزيز، أن تفتِنَهُ ليَرتكِبَ معها الفاحِشةَ، وأَغلَقَتْ عليهِ بابَ الغرفةِ مَعَها، ولكنَّه عليه السلام امتنعَ عنها، وقال لها: كيفَ

---

(١) الرؤى: الأحلام.

أخونُ الرجلَ الذي ربَّاني في بيتهِ وأكْرَمني، وَهَرَب منها مُتَّجِهاً إلى الباب ليخرج فأمْسكتْ ثوبَه من الخلْف فتَمزَّقَ من شدةِ جذبِها لَه، ودخل زوجُها قطفير، فادّعتْ كَذِباً بأن يوسفَ حاول ارتكابَ السُّوءِ معها، ودافَع يوسفُ عن نفسِهِ أمامَ سيدِهِ وقصَّ عليه ما حَدث. وكان هُناكَ صبيٌّ صغيرٌ لم يَنْطِق بَعْدُ، فأَنطَقَهُ الله ليشهَدَ الحقَّ ويُعطيَ البُرْهانَ على صِدْقِ يوسفَ، وكَذِبِ «زليخا»، فقال لقطفير: إن كان قميصُ يوسف قد تَمزَّق من الأمام فامرأتُك صادقةٌ، وإن كان القميصُ مُتَمزِّقاً من الخَلْف فَقدْ كَذبت؛ وَصَدَق يوسُف، وتمَّت براءةُ يوسُف أمامَ سيدِه، فاسترضى يوسُفَ وطلبَ منه أن يَنْسى هذا الحَدَث، ثم قال لزوجته: استغفري ربّك من هذا الذَّنْب الذي ارتكبتيه، ولكن هذه الحادثة لم تَلْبَث أن ذاعتْ في المدينة عن طريق الخَدَم، ووصل خبرها إلى نساءِ الأعيان والوزراءِ اللاتي صِرْن يُرَدِّدْنَ أحداثها ويلُمْن «زليخا» على فعلتها الشنعاء ويتَّهِمْنَها بالضلالِ والجنون، وسَمِعَت زليخا بأقوالِهِن، فدعتْهُنَّ إلى حفلٍ أقامتْهُ في منزلِها، وأحضرتْ لَهُنّ فاكهةً وأعطتْ كلَّ واحدةٍ منهنَّ سِكِّيناً ليقطعْن بها الفواكهِ،

ثم أَخرَجت يوسفَ عليهن، فلما شاهدْنَه زاغَت أبصارُهُن ونَسينَ أنفسَهُنَّ من جمال طَلْعَته وكَمالِ خلْقَتِهِ حتى أَنَّهُنَّ قد جَرَحْنَ أيديَهُنَّ دون أن يَشْعُرْنَ بالأَلَم وقلنَ جميعاً: ليس هذا بشراً عادياً ولكنه أقربُ إلى الملائكة الأبرار من البشر الآدميين؛ عندئذ قالت زليخا لَهُن متحديةً: إنه فتايَ الذي راودْتُه عن نَفْسِه وامتنع عَليَّ ولعلَّكُن الآن قد التمستُنَّ لِيَ العُذْرَ في حُبِّي لَه وشَغَفي به، والآن إذا لَم يُطِعْني فيما طلبتهُ منه، فسوفَ أُدخلهُ السجنَ جزاءً له وانتقاماً منه.

واختارَ يوسفُ عليه السلام السِّجْنَ ودَعا ربَّه أن يَحمِيَهُ من كَيْدِ هؤلاءِ النساء ويحفَظَهُ من الفِتْنةِ والفَحْشاء.

وأُدْخِلَ يوسفَ السجنَ بحجةِ حَجْبِهِ عن الناسِ في القصْرِ إلى أنْ يَنْسوا الحادثةَ ويُوقِفوا الفضيحةَ التي انتشرت وليوهِموا الشَّعبَ بأنه هو المعتدي الظالم.

وَبَعْدَ فَتْرةٍ من الزمنِ طَلَب منه المَلِكُ أنْ يَخْرُجَ من السجن فَرَفَضَ يوسفُ الخروجَ إلا بعد أن

تُعْلَن براءتُه على الناس فَتَركُوه وقَضَى في السِّجْنِ سِنينَ عديدة.

ودَخَل مَعَهُ السِّجنَ شابَّان هُما: ساقي المَلك، وخبَّازَ الملك الذي يَصْنَعُ الخبزَ لَهُ.

وأحبَّه الفَتيان لكثرةِ جُودِهِ، وَحسْنِ خُلُقِهِ، وعبادتِهِ لله كثيراً؛ وتصادقا معه لا يُفارِقَانِهِ إلا نادراً، فَدَعاهُما إلى عبادةِ الله وحْدَه، وَتَرْكِ عبادة الأصنامِ التي كان يَعْبُدُها قومهما.

ورأى كلٌّ من الشابين حُلُماً؛ رَأى ساقي المَلِكِ في منامِهِ أَنه يَعْصِرُ عِنَباً، ويَسْقيه للملك؛ بينما رأى الثاني أنه يَحْملُ فوقَ رأسِهِ خُبزاً تأكُلُ مِنه الطير، وَطَلَبا من يوسفَ أن يُفسِّر لهما حُلُمَيْهِما، وكانت تُهْمةُ كُلٍّ منهما أَنَّهما حَاولا قَتلْ المَلِك بالسُّم، وكان الأولُ بَريئاً من التُّهمة، أما الثاني فكان غير بريء، وفَسَّر يوسفُ لهما رؤيَتهُما، فقال: لستُ أَدْري أَيُّكُم رأى المنامَ الأولَ أو المَنامَ الثاني ولكن تفسيرَ المنام الأول هو أنَّ مَن رآهُ سوفَ يَسقي مولاه العنبَ وَمَن رأى المنامَ الثاني سوف يُصْلبُ حتى الموت؛ ثم يترك مصلوباً حتى تأكل النسورُ والطيورُ

الجارحةُ من رأسِه، فلما عرف يوسف الساقي أوصاهُ أن يَذْكُر للملكِ قصَّته حتى يُخْرِجَه من السجن ويبرىء ساحته من التهمةِ أمام الناس.

وخرج الساقي بعد أن ظهرت براءته؛ لكن الشيطانَ أنساهُ وصيةَ يوسف الذي بقي في السجن ما يقرب من سبع سنين.

وفي ليلةٍ من الليالي رأى الملكُ رؤيا مُخيفةً مزعجةً جَعَلَتْهُ يَطلبُ فوراً الكَهَنةَ وسَدَنَةِ المعابد ليفسروها له، ولما لم يفلحوا تَذَكَّر الساقي يوسفَ وقال للملك: إنَّ هناك مَن يُفَسِّرُ له رؤيتَه تفسيراً واضحاً صحيحاً، ألا وهو السجين يوسف وطلب أن يرسلوه إليه ليأتيهم به.

وَذَهَبَ الساقي إلى يوسفَ في السجن وَطَلَبَ منه تفسير رُؤيا الملك، وقوام ذلك المنام: أنَّ هناك سبع بقراتٍ سِمانٍ تفترسُها سبعُ بقراتٍ هَزيلات، وسبع سنابل قمحٍ خَضراء وسبع سنابل قمحٍ أخرى يابسة جافة.

وقال يوسف للساقي: سَوفَ تَمرُّ على البلاد سَبع سنين خصبةً مباركة يَنزِل المطرُ فيها غزيراً وتجودُ

الأرض بمحصولٍ وافرٍ من القمحِ ويزادُ الخير، ثم يعقبها سبع سنواتٍ أخرى مُجدِبَة، لا تَنبتُ الأرضُ فيها نباتاً ولا يَنزِل فيها مطر، ثم يأتي بعدَها عامٌ مملوءٌ بالخير والخصْبِ والمطرِ وتعودُ البلادُ إلى سابقِ عهدِها فيعُمُّ الخيرُ ويزادُ الغِنى وتمتلىءُ المخازن بأنواعِ السِّلعِ من السُّكرِ والدهنِ والفواكه.

وعلى الملك أَن يصدر أوامره بأن يُحْصَدَ القمحُ في السنواتِ السبع الأولى على أن يُتْركَ في سنابِلِهِ ويُخزن في مخازن تحفظُه على أن لا يستهلكوا منه إلا قدر كفايتهم فقط من غير إسراف أو تبذير، لأنهم سيحتاجون إليه في السنوات السبع العجاف[1]، وبذلك لا تتعرض البلاد إلى الفقرِ والجوعِ، وتمرّ الأزمة الاقتصادية بسلام.

وسمع الملكُ تفسيرَ رؤياه، فأحسَّ بفضلِ يوسف وعَرَفَ صدقَه وتقواه وشعر بأنَّه بَريءٌ مما نُسب إليه، وأرسل له يطلب منه الخروج من السجن، لكنه عليه السلام رَدَّ رسولَ الملك إليه

---

(١) العجاف: الجدباء.

وَرَفَضَ الخروجَ من السجن قائلاً للرسول: «لَن أخْرج من السِّجن حتى تُعْلَنَ بَراءَتي على الملأ كُلِّه».

ويُرسِلُ الملكُ إلى النساءِ ومِنهنَّ امرأة العَزيز التي كان زوجُها قد توفي من قبل ويلتقي الملكُ بهنَّ ويسألُهُنَّ عن رأيهنَّ فيما نُسب إلى يوسف؛ فشهدْنَ جميعاً بصلاحِهِ وتَقواهُ ويُعلنَّ بأنهنَّ لم يَعْلَمْنَ عنهُ أي سوء، لكن امرأة العزيز تتقدَّم إلى الملك وتَعترفُ له بأنها قد راودت يوسفَ عن نفسه إلا أنه استعْصَم ورَفَض طلبَها، وكان مما قالته للملك على رؤوس الأشهاد:

الحقُّ أيُها الملك، أَنَّ يوسفَ صادقٌ فيما سَبَق أن قال: لقد راودته فعلاً عن نفسِهِ، وأنا الآن أعلنُ جهاراً أنني لا أستطيع أن أُبرىء نفسي، ولكني أُبرِّئه وأعلن الحقيقةَ أمامَ الجميع وفي غيابه، ويطلبُ الملكُ إحضارَ يوسف ليكرّمه ويَجعلَه من خاصتهِ ووزرائِهِ ومستشاريه.

وخَرجَ يوسفُ عليه السلام من السجن، بريئاً طاهرَ الذيلِ، عفَّ اللسان، مطمئنَّ الجنان، وقابل

الملك الذي عَرَف أنَّه نبيٌّ مُرْسَل، وسأله الملك أن يَطْلُب ما يشاء، فطلب منه يوسفُ عليه السلام أن يجعلَهُ أميناً على خزائن الأرضِ ليصْرفَ الأمور المالية والاقتصادية في البلادِ تصريفاً واعياً حكيماً، وحَقَّقَ له الملكُ ما طلبه، واستأنف دعوته مجدداً بين الناس، فآمنوا برسالته وأسْلَموا جميعاً، وتزوَّج عليه السلام من «زليخا» امرأة العزيز؛ وأنجبَ منها ولديْن هما: «أفرائيم» و«متشا».

نعودُ لإخوةِ يوسف ووالدهم يعقوب عليه السلام، فقد استمرَّ الأبُ حزيناً باكياً حتى كَفَّ بصرُه؛ ولكنه كان دائمَ الأَمل في لقاءِ يوسف، غير أنَّ أَبناءه كانوا يَسخرون من هذا الأمل ويَهزءون بما يُحدِّثهُم به من انتظار لِقائه بيوسف.

واستمر الحال هكذا إلى أن جاءت السنون العِجاف وبدأَ الناسُ يذهبون إلى خزائن الملك ليصرِفوا منها الطعام.

وذهب أخوةُ يوسف ضمن مَن ذهب من البَدوِ ليصْرفوا الطعام، ورآهم يوسفَ فعرفَهم وبَحَث بينهم عن أخيه الشقيق بنيامين فلم يَجدْهُ بَينَهم.

فَصَرَف لهم مستحقاتِهم من القمح وأَخْبَرَهم بأنه لن يَصْرِف لهُم في المرة القادمة إلا إذا أحضروا مَعَهم أَخاهُم من أبيهم.

وعادوا إلى أبيهم يُخبرونه عَمَّا حَدَث من العزيز فخافَ أبوهُم على ابنه بنيامين وقال لهم: كيف آمنُكُم عليه بعد أن خُنْتُم الأمانةَ مَعَ أخيه يوسف، واستمرُّوا في محاولة إقناعِ أبيهم مؤكدين لَه أنَّ العزيز رَجُلٌ صالح؛ وهو يعطي الحقَّ ويوفي الكيل، فعلينا أن نأخُذَ أخانا مَعَنا في المرة القادمة، لأن لكل فَرْد مِنَّا حِمْلُ جَمَلٍ من القمح، وأخيراً وافق يعقوب عليه السلام أن يُسَلِّمهم بنيامين بعد أن يُقْسِموا له بأغْلظِ الأيْمان ألا يتركوا أخاهم، إلا إذا أحاطَ بهم عَدُوٌّ أقوى منهُم وأن يحميه كلٌ منهم ولَوْ بنفسه، وأقْسموا الأَيْمان المغلَّظة بأن يحموا أخاهم ويُحافِظوا عليه.

وهكذا كان؛ وأخذوا أخاهم معهم إلى مصر، وتَقَابلوا مع يوسف، ورأى يوسف بنيامينَ فأَخَذَهُ واختلى به وعَرَّفَه بنفسِهِ وطلب منه أن يَكْتُم أمرَه عن إخوته، ثم أمر أحدَ مُساعِديه بأن يُخْفي في أغراض

بنيامين إناءً من الفضة، (صواع) من الفضة كان الملك يشرب فيه، وانتظرَ حتى تهيَّأ إخوتُه للعودة فأوقفهم الجنود وأعلنوا لهم ضياعَ «صواع الملك»، وفَتَّشَ يوسفُ أمتعةَ إخْوتِهِ قَبلْ متاع بنيامين، ثم أُخرج الصواعُ من بين أغراض بنيامين؛ فقُبضَ عليه وأخذَه عنده رَغْبَةً منه في تقريبه إليه.

وقال بعض إخوته عقب الحادثة: ليس هذا غريباً على بنيامين، فقد كان له أخٌ سارِق أيضاً، فتألم يوسفُ في نفسِهِ ووصفَهم بأنهم أشرارٌ ضالون، وحاولوا أن يُقْنِعوا يوسف بأن يأخذَ أحدَهُم مكانَ بنيامين، فرفض يوسفُ عليه السلام رجاءَهم وأخيراً وقفوا يتشاورون؛ كيف يَعودون لأبيهم وبنيامين ليس معهم، وأعلن الأخ الكبير «روبيل» أنه لن يستطيعَ مغادرة المكان بدون أخيه؛ وطلبَ من إخوته أن يَعودُوا إلى أبيهم ويُخْبِروهُ بما حدث.

وقابل الوالدُ هذا الخبر بما عُرِف منه الصبر والاحتساب فقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً، ثم تذكر يوسف فقال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ فَرَقَّ له قلبُ أولاده؛ ونصحوه بألا

يستسلم للحُزن حتى لا يَمرضَ أو يموت، فقال لهم: اذهبوا يا أبنائي فابحثوا عن يوسفَ وأخيه، ولا تيْأسوا من رحمة الله لأن اليأس من صفات الكفار.

وعادوا إلى يوسف في المرة الثالثة، وهم يشكون إليه الفقر وقلّة الطعام، وبيّنوا له أنهم لا يملكون ثمن الطعام كاملاً.

وعندئذٍ بادَرَهم يوسفُ عليه السلام بجريمتِهم الأولى معَه فقال لَهم: «أَما تَذْكُرون ما فعلتموهُ بيوسف أخيكم؟» عندئذٍ عَرَفوه وقالوا له: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

فأصابهم النَّدمُ والخجل؛ وطلبوا منه العَفْو والغفران بعد أن اعترفوا بذنبهم، فسامَحَهُم عليه السلام واستغفرَ لهمُ الله، وأَخبَرَهم أنَّ الشيطان هو الذي وَسْوَسَ لهم، ثم سَلَّمَهُم قميصَه ليضعوهُ على وجه أبيه حتى يعود بصيراً بأمر الله، وطلب مِنهم أن يأتوهُ بأهلهم جميعاً.

وسرعان ما أخذ «يهوذا» القميصَ من أخيهِ يوسفَ ليعودَ إلى أبيه.

وقَبْل أن يَصلَ «يهوذا» إلى أبيه يعقوب أحسَّ الأبُ النبيُّ عليه السلام بقرب اللقاءِ، فقال لأولادِه: إنه يَشمُّ رائحةَ أخيهم يوسُف؛ فسَخِروا منه ووَصَفُوه بأنه لا زالَ في ضلالِهِ القديم.

وما هي إلا لحظات حتى وَصَل يهوذا ومعه القميص، فألقاه على وَجْهِ أبيه فعاد بصيراً كما كان، ثُم سَافَروا جميعاً من بلادِ كنعان إلى مصر، وخرج يوسفُ مع رجال الدولة للقاءِ أهلِهِ في مَوكبٍ عظيم كبير، وكان لِقاءً مشهوداً سعيداً، فقد احتَضَنَ يوسفُ أباهُ وأمَّه وأجْلَسَهُما مَعَه على سريرِه، ثم سَجَدوا جميعاً شكراً لله، وكان عَدَدُهم أحدَ عشرَ رجلاً وقيل: كان السجودُ له، إذ كان مباحاً للصغيرِ أن يسجُدَ للكبير؛ وقد جاء تحريمه فيما بعد في شريعة عيسى عليه السلام.

وكان هذا تحقيقاً لرؤيةِ يوسف مِن قبل.

هل عَرَفتُم قِصتي مع نبيِّ الله يوسف عليه السلام، لقد كنتُ متَّهماً مَظلوماً وأنا بريء من دم نبي الله يوسف عليه السلام.

الذئب البريء

أسئلة للمناقشة:

١ ـ إلى أي فصائلِ الحيوان ينتمي الذئب؟

٢ ـ في أي قصةٍ من قصص القرآن الكريم ورد اسم الذئب؟

٣ ـ كيفَ عَرَف يعقوبُ عليه السلام كَذِب أبنائهِ عندما أخبروُهُ بأن الذئبَ أكلَ يوسُف؟

٤ ـ كم كانَ عددَ أبناءِ يَعقوب عليهِ السلام؟

٥ ـ ما هي الأحاديثُ التي عَلَّم الله يوسف عليه السلام تأويلَها؟

٦ ـ في أي عَصْرٍ حدَثتْ قصةُ يوسف عليه السلام وإخوته؟

٧ ـ ماذا كان اسمُ عَزيز مِصرَ واسمُ ملكِها؟

٨ ـ لماذا دَبَّر يوسف حادثةَ السَّرقَة واتَّهم أخاه بنيامينَ فيها؟

٩ ـ اذكرْ ثلاثةً من أسماءِ إخْوةِ يوسف وبنيامين.

١٠ ـ لماذا صَفَحَ يُوسفُ ويعقوبُ عليهما السلام عن أَخوةِ يوسف؟

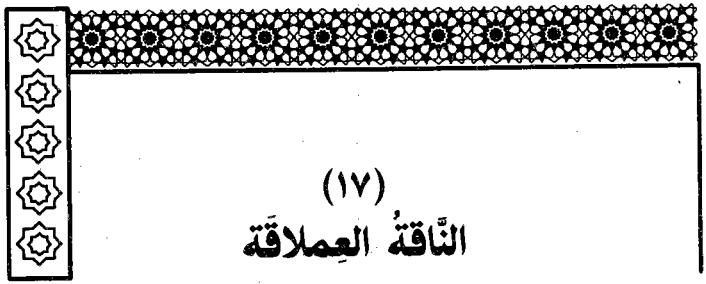

(١٧)
النَّاقةُ العِملاقَة

هل تعرفون من أنا؟

أنا سفينةُ الصحراءِ، ومطيَّةُ الأنبياءِ، ورمزُ الخَيْرِ والوفاءِ.

صَبورةٌ قويةٌ، كَريمةٌ شذيةٌ، سَهْلةُ القِياد، طويلة العِماد[١]، قاطعةُ الوِهادِ[٢]، لا أشكو ولا أَضيق، مهما طالَ الطَّريق في سَهْل أو مَضيق.

اسْمِي مشهورٌ، وفي كلِّ زمانٍ أو مكانٍ مَذكور، يَعرِفُني الكبيرُ والصغير، ويُسْتَعانُ بي في قطعِ الطريقِ الخطيرِ، مَهْما صَعْبَ المسير.

---

(١) العماد: القامة.

(٢) الوهاد: الصحراوات.

هادئةٌ طائعةٌ، وادعةٌ قانِعةٌ، أصبرُ على العَطَشِ والجُوعِ، حتى أَصِلَ إلى العُشْب واليُنْبوع، فأملأَ بَطني، وأَروي عَطَشي.

هذه صِفاتي.. وسأُعَرِّفُكم الآنَ ببعض تفاصيل حَياتي، ولَكنْ قَبْلَ أن أَبدأ الكلام، أُقرِئكم السَّلام، وأسألُكم: هل عَرَفْتُمُوني؟

أنا الناقةُ، كبيرةٌ عملاقة. زَوْجي يُسمى الجَمل، وهو مِثلي في الضخامةِ والقوَّة، والنشاطِ والفُتُوَّة، حتى أصبح اسمُنا مِلْءَ الأسماع، في كلِّ الجهاتِ والأصقاع.

إحدى جَدَّاتي الكريمات، لها شَرَفٌ تَفْخَرُ به كلُّ النَّاقات، وهي «القَصْواءُ» التي كان يَرْكَبُها خاتَمُ الأَنبياء، مُحمدٌ خير مَن وطىءَ الحَصْبَاءُ، صاحبُ الحَوضِ واللواء، صلواتُ الله وسلامُهُ عليه في الأرضِ والسماء.

يُطْلَقُ على جُموعِنا الإِبِلُ أو الجمال وتاريخُنا مَعْروفٌ عَبْرَ الدُّهور والأَجيال.

كُنَّا حيواناتٌ وحشيَّة، لا نألفِ الإنسانَ ولا

نُعايشهُ مِثْل بقية الحيوانات التي سَكَنتْ الصحراءَ والأَدغال، فَهدَى الله الإنسانَ إلى تَرْويضِنا، مَثَلُنا مَثَلُ غيرِنا كالحصانِ والحمارِ والفيل.

ولكنَّ الله تعالى أرادَ لنا الهدايةَ مِن قديمِ الزمان وسالِفِ العصرِ والأوان، وقبل أي حيوان.

استطاع الناسُ أن يُرَوِّضُونا عامَ ثمانمائةٍ وخمسين قبل الميلاد[1].

ومنذُ ذاك الوقْت، ونحن نأْلَفُ الإنسانَ، ونعيشُ معه في مَوَدَّةٍ وأمان، وأَنواعُنا نحن الجمال، نَوْعان:

الأول مِنّا: هو الجملُ العَربي المعْروف، صاحبُ السَّنام الواحد، وموطنُه الأَصْلي بعدَ الترويض، هو الجزيرةُ العربية، استطاعَ العربيُّ ساكنُ الصحراءِ أن يُدَرِّبَنا على التعايشِ والتَأقْلُم بالصحراءِ الحارَّة، حيث اتخَذَنا للسِّباق والرُّكوب. وعامَلَنا معاملة الصديق، فكنّا له نِعْمَ الرَّفيق.

---

(١) قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

والنوع الثاني: هو الجمل ذُو السَّنامين، وموطنُه الأصلي كانَ صحراءَ آسيا الوُسْطى، وهي التي تتحولُ في الشتاءِ إلى صَحراء ثَلْجية.

ونحنُ بنوْعيْنا مَعروفُون بقُدرتنا العجيبةِ على تَحمُّل العَطَش لمدةٍ طويلة، ويرجعُ ذلك إلى السَّنام الذي خَلَقَه الله لنا. ففيهِ يُخْتَزَنُ الشَّحمُ الذي يتحولُ عند الحاجةِ إلى طاقةٍ وماءٍ، تَنْفَعُنا وَقْتَ الحاجةِ إليها في السيرِ الطويل بدون ماءٍ أوْ طَعام، وليس صحيحاً أنَّ السَّنام مَخْزَنٌ للماءِ كما كان يُشَاعُ مِن قَبل.

أقدامُنا ذات إصْبَعين مِن أعلى، ولكن أسفَلَ القَدَمين غيرُ مُنقَسِم، بل إن أسفلَه مُفَلطَحٌ طَريٌّ مَرِنٌ، يَمنَعُ القَدَمَ من الغَوْصِ في الرِّمالِ الناعمةِ أو في الثلوج.

ومنْخرانا قد خَلَق الله فَتْحَتَيْهِمَا تنفتحان وتَنْغَلقان بسهولة، حَتى يُمكننا أَن نُغلِقَهما وقت العواصِفِ الرَّملية فَنَمْنَع دخولَ الرِّمال النَّاعمة إلى جهازِنا التَّنفُسيِّ.

وعيوُنُنا أيضاً تحمي كلاً منها رموشٌ مُزْدَوِجةٌ مُتشابكةٌ فتمنعَ عنها الرمالَ ووَهْجِ الشَّمس الحارقة.

وجلدُنا ليسء فيه غُدَدٌ عرقيَّة مما يَحفَظُ الماءَ في أجسامنا فلا يَتبخَّر.

وقد استَخدَمَنا الناسُ منذ قديم الزمان خاصةً في الجزيرة العربية استخداماً يَدُلُّ على الذكاءِ والفهم.

فنحنُ بالنسبة للعربي البدوي، مَصْدرٌ أساسيٌ يَمدُّه بكل ما يحتاجُه في حياتِهِ الصحراوية الصَّعبة، ولقد كنّا وسيلةً آمنةً ليقطعَ بنا المسافاتِ الطويلةِ، وبهيمةً يحملُ عليها الأثقالَ التي لا يستطيعُ أَيُّ حيوان آخر أن يحملَها. فالناقة البالغة منّا أو الجملُ تستطيع أن تحمِلَ ما يَزِنُ أربعمائة وخمسين كيلو غراماً دون أن تَكِلَّ أو تَضْعف.

وَوَبَرُنا الناعمُ يَنسِج منه ملابِسَه الشَّتويةَ المُدْفِئَة، وجُلودُنا يَصْنعَ منها قِرَبَ الماءِ والنِّعال والسُّيُور.

ولحومُنا وحليبُنا غِذاءٌ كامِلٌ لَذيذ، وحتى «الرَوث»[1] كان البدوي ينتفعُ به كَوقودٍ للاشتعال عندما يجف.

---

(١) البعر: وهو فَضَلات الجمال.

والأُنثى منا تحملُ جنينَها لمدةِ سَنَةٍ كاملة قبل أن تَضَعَه، وَيُسمَّى الرضيعُ «حُواراً» يَتْبَع أُمَهُ، ويَرضَع مِنها الحليب لمدةِ سَنَةٍ كاملة، ثُمَّ يُفْطَم ويَعْتَمدُ على الأعشابِ في طعامِهِ، وَيُسمى في هذه السِّنِّ «بعروراً»، إلى أَنْ يُصْبح سِنُّه ثلاثَ سنواتٍ أو أربع، فيكون جَملاً قادراً على العملِ كأبويه.

وقد وَرَدَ ذِكْرُ أسمائِنا المختلفة في كتاب الله الكريم مراتٍ عديدة، وهي وإن تباينت فهي كلها أسماءٌ لنا.

فجاء اسم الجمل في موضعين: **أولها**: قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[1].

جاء اسمُ «الجمل» في الآيةِ الكريمةِ، ليُبيِّنَ الله جَلَّ وَعَلا أن هَؤلاء المكذبينَ لدعوة رسوله محمد ﷺ وما جاءَ به من آياتٍ بينات لَن تُفْتَح

---

(١) الأعراف: ٤٠.

لأرواحِهم السماءُ بعدَ مَوْتِهم، وفي هذا كنايةٌ عن طردِهم مِن رحمةِ الله مُنْذُ هلاكِهم في الدُّنيا، وهم لن يدخلوا الجنة يوم القيامة أبداً.

ويؤكد المولى جَلَّ شأنُه هذه الاستحالَة في أسلوبٍ تَشبيهي ضِمْني هو تَشبيه الاستِحالَة، فالآية تبين أن هؤلاء المكذبين لآيات الله، المستكبرين عن دعوة الرسول ﷺ، لن تُقْبَل دَعواتُهم، ولن تُفْتَح لهم أبوابُ السماءِ ولن يَدخُلوا الجنةَ يوم القيامة إلا إذا نَفَذَ الجَمَلُ بضخامتهِ وكِبَرِ جِسْمهِ من ثُقْبِ إبْرةِ الخياطةِ على ضيقه ودقَّته.

أما **ثاني** هذين الموضعين فيقول فيه الله سبحانه وتعالى:

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾﴾[1].

فيبيّن المولى سبحانه وتعالى في هذه الآيات ما يتعرَّضُ له الكفارُ يومَ القيامة من عذابٍ ووَيْلٍ في

---

(١) المرسلات: ٢٩ ـ ٣٣.

نارِ جهنم، فعندَما يَرَوْن السَّعيرَ في جهنم، يحاولون الهرَب من ويلاتها ولهيبِها إلى مَكانٍ يَستظِلُّون فيه من حرارةِ الشمْس المُحْرِقَةِ التي تَدْنو من رؤوسِهِم فَتَصْهَرها، فلا يجدون ملجأً يأوون إليه إلا ظِلاً له ثَلاث شُعَب من دخانٍ كثيفٍ خانِقٍ حار.

فهو إذن ليس ظِلاً ظليلاً كما يتوقَّعون، ولكنه عَذابٌ رَهيبٌ يَخْرُجُ مِن جهنَّمَ في ثلاثةِ أعمدةٍ سَوْداء، لا هو يُظِلُّهم من الشمسِ المُحْرِقةِ، ولا يَمْنَعُ عنهم عذاباً، بل هو عذابٌ أَشدُّ وأقسى.

وقد سمَّى الله هذا العذاب ظِلاً عن طريق التهكم والسخرية والاستهزاءِ بالمعذَّبين في جهنم، فكأنَّهم كما يقولُ الشاعر العربي:

كالمستجير من الرَّمضاء بالنار

والرَّمضاءُ هي الرمالُ الحارة الملتهبةُ التي تشوي الأقدام بحرارتِها الشَّديدة، وَيَصِفُ الله تعالى أهوالَ جهنَّم في هذهِ الآياتِ وَصْفاً بَليغاً يَملأُ القلوبَ بالرُّعبِ والرهبة، فجهنمُ تَستَقْبِلُ هؤلاءِ المكذِّبين الكافرين بفورة فظيعة من الغليان، ودَفع

الشرر العظيم، كُلّ شرارةٍ منها في حجم القصر الكبير أو الحِصْن الضَّخم، ولون هذا الشرر أصفرُ وسرعتُه كبيرة فهو يُشبه الإبلَ الصفراءَ السريعةَ الحركة.

أما اسم البعير، فقد وَرَد مرتين في القرآن الكريم، أولهُما في سورة يُوسفُ عليه السلام لما حاول إخوةُ يوسفَ إقناعَ أبيهم بإرسال أخيهم بنيامين معهم إلى عزيز مصر فقالوا له: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾[1].

والثانية عندما دبّر يوسف عليه السلام حادث السرقة المفتعل رغبة في أخذ أخيه بنيامين عنده، وقال لهم: ﴿نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾[2].

وقد سبق أن بيَّنا أحداثَ هذه القصةِ العظيمة في قصة: «الذئب البريء» التابع لهذه السلسلة.

---

(١) يوسف: ٦٥.

(٢) يوسف: ٧٢.

كما جاء ذكر الإبل في سورة الأنعام حيث يقول تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾.

وقد كتبنا عن هذه الآيات الكريمة في قصتنا: «النعجة السعيدة» التابعة لهذه السلسلة أيضاً، فليرجع إليها.

ثم جاء اسمي: «الناقة» في عدة مواضع من كتاب الله تعالى:

منها قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ

أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾[1].

كما ورد اسم الناقة في خمسةِ مواضِعَ أُخرى: في سورةِ هود، والإسراء، والشعراء، والقمر، والشمس.

وكلُّها تقصُّ علينا نفسَ القصة، قِصةَ نبيِّ الله ورسولِهِ صَالح عليه السلام مع قومِهِ «قوم ثمود». وقد جعلني الله سبحانه وتعالى آيةً من آياتِهِ، ودليلاً على صدقِ رسولِهِ، فنِلْتُ بذلك شَرَفاً كبيراً وارتفع قدري ارتفاعاً عظيماً؛ والقصة هي:

عاش قوم ثمود في مكان اسمه: «الحِجْر» بوادي القرى بين الحجاز وتبوك، وهم أولُ مَن

(١) الأعراف: ٧٣ ـ ٧٩.

نَحَتَ الجبالَ والصخورَ والرّخام، وقد ساعدهم في ذلك ما يتمتعون به من ضَخامةِ الأجسام وقُوة الأبدان، فأخْرَجوا الصُّخور ونَقَّبوا الجِبالَ وأقاموا بيوتَهُم داخلَ الجبال. هذا وقد بنوا ألفاً وخمسمائة مدينة كلَّها بالحجارة القوية بوادي القرى.

وقد غرّتهم قوة بُنْيَتهم؛ وضخامةُ أجسامِهم، وما همْ فيهِ مِن نِعَم كَثيرةٍ أسبَغَها الله عليهم ظاهرةً وباطنةً، فطغَوا وأخَذتْهُم العزة بالإثْم، فكَفروا بالله تعالى وأنكَروا نِعمته وظَلَموا وتَكَبَّروا، وكانوا معمِّرين عمالقة إذ كان سن الواحد منهم تتجاوز الثلاثمائة سنة، كما أنَّ طول الرجل كان يبلغ أكثر من ثلاثة أمتار.

وكانوا يتمتعون بِنِعَم كثيرةٍ لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، كالبساتينِ المُثْمِرَة، والأنهار العَذْبَةِ، والسهولِ الفَسيحة الكائنة بين الجبال، والنخيلِ والأعنابِ والعيونِ الجاريةِ، والزروعِ والثَّمرات، ولكنهم مع ذلك كانوا يكفرون بالله ويمتنعون عن عبادته غُروراً وتكَبّراً.

وكان يقودُهُم إلى الفسادِ والكُفر زعماءٌ

مُتكبرون يبلغ عددهم تسعة أنفار ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله:

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾[1].

فأرسل الله لهم نبياً من أنفسهم يدعوهُم إلى عبادةِ الله وشكره، وهو «صالح عليه السلام» فدعاهم إلى الله، وذَكَّرهم بقدرته ونِعَمِهِ عليهِم، وطَلَب مِنهُم أن يَتْرُكوا الظُّلْم والعُدْوان والتّكبُّر، وأن يعبدوا ويَدينُوا له بالطاعةِ ويَمتَنِعُوا عن كل ما حرَّمه الله.

وَكَذَّبوه، وتَحَدّوه بجبروتِهِم وقوتِهِم، وهدَّدوه بالرَّجْم إن هو استمر على ملاحقتهم بدعوته... ولكن صالحاً عليه السلام استمرَّ يدْعوهُم بالحُسْنى، ويناقشهُم بقوةِ بيانِهِ وعَظيم حُجَّتِهِ مُبيّناً لهم أنه لا مصلحة لَه في أن يُكَذِّبَ عليهم أو يدَّعي الرِّسالةَ المكلَّف بها من ربه.

ولـمَّا لم يَجدوا ردّاً على حججه القوية،

---

(١) النمل: ٤٨.

تَحَدوه بأن يأتيَ بآيةٍ أو علامةٍ أو مُعْجزةٍ تدُلّ على صِدقِه.

فتوَسَّم عليه السلام فيهم خيراً، وَطَمِعَ في إيمانهم، وطَلَب مِنهُم أن يُحدِّدوا المُعجزة التي تقنِعُهُم وتجعَلُهُم يصدِّقُونه ويَتَّبِعون رسالتَه.

واجتمَع الرَّهْطُ المتكبِّر ومَعَهم بقيةُ القوم، واتَّفَقوا على أن يَطْلُبوا مِن صالحَ مُعجزةً كبرى لا يستطيع الإتيانَ بها كما تَخيَّلوا، طلبوا منه أن يُخْرِج لهم مِن تلك الصخرةِ الصَّلْبةِ ناقةً عشراء[1]، ثم تلِدُ أمامهم.

ودعا صالحٌ رَبّه، وجاءَه جبريلُ عليه السلام، فأمَرَه بأن يُصَلي لله رَكْعَتين ويسأَلَهُ مَا يشاء، فإن الله سميعٌ مُجيب.

وصلَّى صالح. ودَعا الله بأن يُخْرج لقومِهِ ناقةً عَشْراء ثم تَلِدُ أمامَهم كما طلبوا، عسى أن يهتدوا إلى الإيمانِ ويُصَدِّقوه في رسالتِهِ.

---

(١) حاملاً.

واستجابَ الله له، وأخرج النَّاقة من الصخرة، ناقةً حاملاً، ثم ولدت أمامَهُم جميعاً وَبَرَكت بين أيديهم، وتظاهَرُوا بتصديقه، وَفرِحَ صالحٌ ودعا الله وهو يَشْكُرُه ويَعْبُدُهُ ويَحْمَدُهُ، على ما مَنَّ بهِ عليهِ مِن الرسالةِ وهدايةِ القوم.

وجاءَه الوَحْي مرة ثانية، وطلب منه أن يُحدِّدَ لقومِهِ يوماً يَشْرَبون فِيهِ من الآبار، ويتركون الماءَ للناقةِ يوماً لا يَقْرَبُونَه، وأنْ عليهم ألاَّ يُؤذُوا الناقة ولا يَمَسُّوها بسوء، لأنَّها ناقة الله وَمن يُؤْذيها ينتقمُ الله مِنْه شرَّ انتقام، ويُعَرِّضُه لعذابٍ مُهْلِكٍ، لا رادَّ له ولا حِمايةَ مِنْه.

وعاشَتِ النَّاقةُ بَيْنَهُم؛ والتَزَموا بما اتَّفقُوا عليه، تَشرَب الماءَ يوماً، ويشربون يوماً. وتأكُل الورق والمَرْعى، ويَحْلِبُون لَبَنَها الذي كان يكفيهُم جميعاً شُرْباً وَرَياً، واستمروا على ذلك حيناً من الدَّهر.

ولمَّا طال عليهِمُ الأَمدُ قَسَتْ قلوبُهُم، وَوَسْوَسَ الشيطانُ لكبرائِهِم وزُعمائِهِم واجتمع بهم «قدار بن سالف» وهو أكد كبرائهم وأسوأُهم خُلُقاً وأشدُّهُم قَسوةً وعُنفاً وأَخَذَ يُقْنعُهُمْ بِكَذِب صَالح

ويُزَيِّن لهم نَقْضَ الوعد؛ كما أخذ يتابعُهُم بوساوسَ شيطانية حتى أقنعهم بأن يتركوه يقتل الناقة، ولما نال ما تمنى من موافقتهم أَسْرَعَ فَأَعَدَّ العُدَّة لِعَقْرِ الناقةِ بسيفِهِ وقتلها. وَقيلَ: إنه اشترَكَ مع قومِهِ في إطلاقِ السِّهام عليها حتى قتلوها.

ولما عَقَرُوها قيل: إن «حُوارَها» صَرَخَ صَرْخَةً مُدَوِّية، وقَفَزَ قَفْزَةً سريعةً واختفى في الصَّخرةِ التي خرجت منها أُمُّهُ مِن قبلُ.

عندئذٍ نَدِمَ القومِ ولات حين لا ينفعُ النَّدَم.

وأَكَّدَ العلماءُ أنَّ نَدَمَهُم لم يَكُن نَدَمَ التوبةِ، ولكنه كان نَدَمُ الخائفين من العذاب، وجاءَهم عذابُ رَبِّك، وكان عذاباً لا يُرَد.

جاء جبريل عليه السلام، وصاحَ فيهم صَيْحةً واحدةً، خَمَدَت لها أبدانُهُم الضخمة، وانشقَّتْ قلوبهم وزُلْزِلَتِ الأرضُ تحتهم زِلزالاً شديداً، وصُبَّت عليهِمُ الحجارةُ من السماءِ فَماتوا عن آخرِهِم.

ونَجَّى الله صالحاً وَمَن آمَن مَعَه وكانوا قِلَّة.

هَـذهِ هِـي قِـصتـي مـع نـبـيِّ الله صـالـح عـلـيـه السـلام، شَـرَّفَـني الله بـهـا وأَكْـرَمَـني ورَفـعَ قَـدْري بـأن جَعَلَني آيةً من آياته، وَذَكَر اسمي في كتابه الكريم. وإلى لقاء آخر إن شاء الله.

الناقة العملاقة

أسئلة للمناقشة:

١ ـ ما اسمُ النَّاقةِ التي كان يَركبُها نبيُّنا محمد ﷺ؟

٢ ـ في أي عَصْرٍ رَوَّضَ الإنسانُ الجملَ؟

٣ ـ لماذا يُسمَّى الجملُ «سفينةَ الصحراء»؟

٤ ـ ما هي أنواعُ الجِمال التي وَرَدَتْ في القصة؟

٥ ـ ما هي فوائدُ الجمال؟

٦ ـ صف ناقةَ صالحٍ عليه السلام.

٧ ـ مَن عَقَرَها؟

٨ ـ ماذا حَلَّ بقومِ ثَمود بعد أن عَقَروا الناقة؟

٩ ـ ماذا فعَل حُوارُ النَّاقةِ بعد أن قَتَلُوا أُمَّه؟

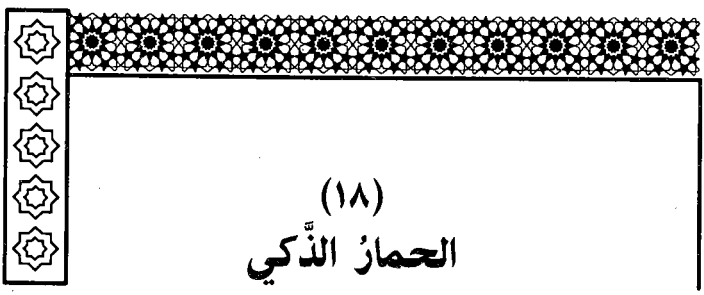

(١٨)
الحمارُ الذَّكي

إذا دَاعَبَك صَديقٌ لك، وَوَصَفَك بالحمارِ أو بالجَحشْ، فقد تَثورُ عليه، وتَتَضايقُ مِنهُ، وقد يَصلُ بك الأمرُ إلى مُقاطعته. هَذا إذا لم تَرُد عليهِ رَدّاً سَيِّئاً مُثيراً قد يكونُ السببَ في عِراكٍ وقَطيعة.

فإذا فَعَلْتَ ذلك، فاسمحْ لي أنْ أقُولَ لكَ: إنَّك مُخْطىءٌ كلَّ الخَطأ؛ فما تعَارَف عليه الناس مِن غَباءِ الحِمار هو «خَطَأٌ شائع».

لا تعترض على هذا الكلام، وانتظرْ قليلاً لأُثْبِتَ لَكَ أَنَّني على حَقٍّ في ذلكَ.

الحِمار حيوانٌ ذَكيٌّ رَشيقٌ، يُحبُّ العَملَ الشاقَ، وله قُدْرةٌ كبيرةٌ على السَّير بالأحمالِ الثقيلةِ والصعودِ بها إلى أَعالي الجبال والمرورِ بها في

المنحدرات والطُّرق الموحلةِ، بِصَبْرٍ وأناةٍ وفَهْم لأسرارِ السيْرِ الآمِنِ المأمون، يُساعدُه في ذلك صَبرُهُ وذَكاؤه وتكوينُ جِسمِه وحوافِرِهِ الصَّلبةِ المُستقيمةِ. فالحمارُ ليس بأقلّ ذكاء من الحصان.

والدليلُ على ذلك أنَّ القوافِلَ في البلادِ الجبلية والبيئة الصحراوية، التي يُسْتَخدَم فيها الخيلُ والحميرُ في نقل الأحمالِ، تسير وفق نظام خاص متعارفٍ عليه، هذا النظامُ الذي لا يحيدونَ عنهُ يقضي بأن يتقدم الحميرُ القافلةَ الطويلةَ وتَتْبَعُها الخيولُ.

وذلِكَ لأنهم بِخِبْرَتِهِم يَعْرِفون أنَّ الحمارَ بما جُبِلَ عليه دَقيقُ الاختيار، يَعْرِف أكثر الممراتِ أَمناً وَسَلامة، والخيولُ تسير على أَثَره.

وَفي الأزمانِ الغابِرةِ حين كان الناسُ يَستخدمونَ الحميرَ لجَرِّ العَرَباتِ، كان مِن ضُروبِ الأمانِ رُكوبُ عَرَبةِ النَّوم التي يَجُرُّها الحمار، ليصلَ بها إلى البيت، لأنه يَعْرِفُ الطريقَ إلى المنزل، ولا يُخطئُه أبداً.

وللحمار أيضاً حَاسةُ سَمْعٍ قَويةٍ جِداً، تُنَبِّهُهُ إلى اقترابِ أَيِّ عَدُوٍّ.

وهناك ميزَةٌ أُخرى يَتَمتعُ بها هذا الحيوانُ الصبورُ ويتميز بها عن بقية الحيوانات، ألا وهي أَنَّه بوسعه أن يَعيشَ على أَيَّة كميةٍ من الطَّعام مهما كانت ضئيلة، كما أن بوسعه أن يقتضر بغذائه على النباتات الشديدة الجفاف أو النباتات الشوكية.

ولكن ليسَ صحيحاً ما يُقال مِن أنَّه يُفَضّل هذه النباتاتِ على غيرِها، وإنْ كان من المؤكَّد أنه يستطيعُ أن يأكلَها إذا لم يتوافرْ غيرُها.

وهناك نقطةٌ ذات أهميةٍ في طابع هذا الحيوان اللطيف، وهي أنه بوسعه أن يكونَ صَديقاً مُخْلِصاً للإنسان الذي يألفه، يُحبُّه ويَسْعدَ لرؤياه إذا أحسَّ بعطفِهِ عليه، والعطفُ عليه يتمثَّلُ في تقديم العلف الكثير والماءِ النظيف لَه، وفي معاملتِه بلطف، وعدمِ إيذائِهِ بالضرب.

فإذا عامله شخصٌ بهذهِ المعاملةِ اللطيفة، أصبح خادماً مخلصاً له، لا يقلّ إخلاصاً عن الكلب بما عُرِف عنه من الوفاء.

والفرق بينَه وبين الكلب في إظهارِ إخلاصهِ هو أنَّ الحمارَ بتكوينه الجَسَدي لا يستطيعُ إظهارَ

حُبِّهِ ومودتهِ لصديقِه بوسائلِ خفيفةٍ وحركاتٍ لطيفةٍ مثل الكلب.

وكُلُّ ما يَقدِرُ عليه الحمارُ عندما يَرى مَن يُحبُّه من البشر، أنه يُقابِلُه بعاصفةٍ من النَّهيق، وهذه دونَ شَكٍّ ضَوضاءٌ فظيعةٌ مُزعِجَةٌ، ولكنها الوسيلةُ الوحيدةُ التي يستطيعُ بها هذا الحيوانُ المُخْلِص إظهارَ سُرورِه.

وضِمْنَ عاداتِ الحمارِ أَنَّه يَفْحَص الماءَ قبل أن يَشْرَب منه عن طريق الشّم؛ فإذا وَجَدَه غيرَ نظيفٍ لا يَقْرَبُه.

وأنثى الحمارِ تُدِرّ لبناً كثيراً جداً بعد أن تَلِدَ؛ وهذا اللَّبَنُ يُتَّخَذُ أحياناً كدواءٍ لبعضِ الأمراض.

ويُغطي جسم الحِمارِ شَعْرٌ خَفيفٌ قَصيرٌ أثناءَ الصيف؛ فإذا حلَّ الشتاء تحوَّل هذا الشَّعرُ إلى الطولِ والكثافةِ ليُدْفِئَه.

ويَعيشُ الحمارُ غالباً خَمسةً وعِشرين سنة وقد يَصلُ إلى ثلاثينَ عاماً.

ويَرجع أصلُ الحِمارِ المُستأْنَس إلى أحد أنواعِ

الحَميرِ الوَحْشيَّة التي تعيش في الغابات والصحارى الإفريقية، كما أنه قد استؤْنِس قبل استئناس الحصانِ بِفَتْرةٍ طَويلة.

وقد استُخْدِمَ الحمارُ في مصرَ مِنذُ ما يزيدُ على ثلاثة آلافِ سَنةٍ قبلَ الميلاد؛ وهو لم يدخلْ إنجلترا قبلَ حُلولِ القرنِ التاسعِ أو العاشر الميلادي.

وعددُ الحمير في الصين الآنَ يفوقُ عددُها في أي مكان آخر.

كما أنه يُستَخْدَمُ بأعداد كبيرةٍ في جنوب أوروبا وشمالِ إفريقيا.

واستُعْمِلَ الحِمارُ مُنذُ فجرِ التاريخ كوسيلةٍ للنقلِ والرُّكوب، إلاَّ أَنَّهُ أكثرُ فائدةً في الحمل والجَرِّ، وفي إنجلترا يُرَبَّى غالباً لتدليل الأطفال.

وصغار الحمير يُسمَّى واحدُها: «جَحْشاً»، وهُو خَفيفُ الظِّل ظريفُ الشَّكل، حركاتُهُ لطيفةٌ وألْعابُهُ مُشوقةٌ مُبْهِجَة، إذا نظرتَ إليهِ وهُو يَقومُ بحركاته وألعابه هُيِّىءَ إليك أَنَّهُ يَبْتَسِمُ أوْ يَضْحَكُ.

والحمارُ حيوانٌ هادىءٌ لا يؤذي الصِّغارَ أو الكبار، إذا عُومِلَ معاملةً حَسَنةً، ولكنه عندما يُعتدى عَليه فإنَّه يَتحولُ إلى حيوانٍ عنيدٍ شرسٍ يَرْفُس ويَعضُّ مَنْ يَقْتَرِب منه، والمعاملَةُ الحسنةُ تحوّلُه إلى المُسالَمة والإخلاصِ لصاحبِهِ، ولَحْمُ الحمار الأهلي حَرَامٌ في الإسلام، ولكن لَحْمُ الوَحْشي مِنهُ مُبَاحٌ أكلُه.

وقد وَرد ذِكْر الحِمار في القرآنِ الكريم في خمسِ مواضع؛ أربعةٌ منها خاصةٌ بالحُمُرِ الأهْلِيَّة، وموضع واحد في الحُمُر الوحشية التي تَعيشُ في الجبال والغابات مَثَلُها مَثَلُ بَقيةِ حيواناتِ الغابةِ التي لا تَأْلَف أحداً ولا تَتعايَشُ مَع الناس.

وَلِذِكرِ الحمارِ في القرآنِ قِصَصٌ لطيفةٌ سَوْفَ نَقُصُّ عَليكمُ إحداها، ألا وهي قصةُ: «حمار عُزَير» التي جاء ذِكْرُها في سورة البقرة؛ وهي تحكي لنا ما حَدثَ لأَحَدِ الأنبياءِ غير المرسلين، وهو «النَّبيُّ عُزَيْر» أثناءَ رِحلتِهِ في الصحراء رَاكباً حمارَهُ، فقد قال تعالى:

﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾.

صدق الله العظيم.

والقصةُ كما وَرَدت في التفاسير القرآنية المختلفة هي:

أنَّ هذا الذي كانَ يَرْكَب حِمَارَهُ هو: «عُزَير عليه السلام»[1] أحدُ أنبياءِ الله غير المرسلين.

وقال غيرهم: بل هو النبيّ غير المرسل «أرمياء عليه السلام»[2].

---

(١) قال ذلك: سليمان بن بريدة، وقتادة، وابن عباس، وعكرمة، والضحاك، وناجية بن كعب.

(٢) هذا قول: وهب بن منبه، وعبدالله بن عبيد بن عمير، وعبدالله بن بكر بن مضر.

وجمهورُ المُفسِّرين اتّفقوا على أنه «عُزَيْرٌ عليه السلام»، وهو الأَرْجَح.

والقصة تَحكي: أنَّ هذا النبيّ كان يَرْكَب حمارَه ويحملُ مَعه سَلَّةً فيها طعامُهُ وشرابُه وتينٌ أخضر وعنبٌ و(ركوةٌ)[1] من عصير، وقُلَّة ماء.

وفي طريقه مَرَّ على بيتِ المَقْدِس بعد أن خرَّبَه «بختنصّر البابلي»، فَوَقَف هذا النبيُّ وَنَظَر إلى القرية التي سَقَطتْ حيطانُها على سَقْفِها، ومات كُلُّ مَن فيها، فأصابه العَجَبُ والدَّهشَةُ ثم نَطَقَ لسانُه بهذا القول: «كيف ومتى يُحيي الله هذه القرية؟»، ثُمَّ جَلَسَ يستريح تاركاً حمارَه قريباً منه بعد أن وَضَع السلةَ بجواره، ولم يكن بهذا القولِ شاكّاً في قدرةِ الله على البَعْثِ والإحياء، ولكنَّهُ صَدَر عن تَعجُّبٍ وشَغَفٍ وحُبِّ استطلاع.

وقد حدث مثلُ هذا مِنْ نبيّ الله وخليلِهِ إبراهيم عليه السلام عندما سَأَل ربَّه: ﴿رَبِّ أَرِنِي

---

(١) ركوة: إناء.

كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[1] الآية.

وبَعْدَ أَن نَطَقَ عُزَيْر بهذا التساؤُلِ وَهُوَ جالِسٌ يَستَريحُ بجوارِ أَحَدِ الجُدرانِ المُهَدَّمةِ قَبض الله روحَه.

واستمرَّ موتُه مائةَ عام كاملة، ثُم بَعَثَه الله مرةً ثانيةً فقام يَتَلَفَّتُ يميناً وشِمالاً وهو يَظُنُّ أَنه كان نائماً.

وأرسل الله إليه مَلَكاً من الملائكة ليسأله: كم لبثتَ نائماً أيُّها الرجل؟ فأجابه عُزَير: نِمْت يوماً أو بعضَ يوم، فردَّ عليه المَلَكُ قائلاً: بل أنْتَ كُنْتَ مَيتاً طوالَ مائةِ عام ثُمَّ أحياك الله سبحانَه وتَعالى الآن فقط، فانْظُرْ حَوْلَكَ جَيداً، فَنَظَر عُزَيْرٌ فَوَجَدَ القرية تَغُصُّ بالنشاطِ والحركةِ، والعُمْران يُحيطُ بهِ من كلِّ مَكان، فأيقن أنَّ المَلَكَ صادقٌ في خَبَرِهِ.

ثُمَّ طَلَبَ مِنْه الملَكُ أن يَنْظُرَ إلى سَلةِ طعامِهِ

---

(١) البقرة: ٢٦٠.

وشرابه ويتفحصُّها؛ فنظرَ إليها وتَحَسَّسَها فَوجَدَ أَنَّ ما فيها من الفاكهة غَضٌّ صَالِحٌ لم يُصبْه التَّلفُ أو الجفاف، والعصيرُ في الرَّكوة لا زالَ كما هُو لم يَتغيَّر، والماء في القُلَّة لم يَجِف أو يتبخَّر.

ونَظَر إلى المَلاَك بذهولٍ فوجّه نظرَهُ إلى حمارِهِ وقال له: انْظُر إلى بقايا حمارك يا عُزير، ووَجَدَ عُزيرٌ حمارَه قد صارَ عِظاماً نَخِرةً قديمة مُتبعْثِرةً هنا وهناكَ؛ وَطَلَب مِنْهُ المَلاكُ أن يُدَقِّق النظرَ فيما سَيحْدُث للحمارِ الآنَ لِيَرى بعينيه قُدْرةَ الله في إحياءِ الحمار.

ولذهولِ عُزَير وَجد أنَّ العظامَ المتفرِّقةَ قد تقارَبت بعضُها مع بعض وتجمَّعَت، وتَركَّبَتْ كلُ عَظمةٍ في مكانِها فصارت العظامُ هيكلاً عَظمياً للحمار، ثم انتصبت واقفةً أمامه، ثم وأمام عينيهِ اكتَست العظام لحماً وعَصباً، ثم جِلْداً ثم شعراً، ثم بعث الله فيها الروحَ فعادَ الحمارُ كما هو قَبْلَ موتِهِ، وَتَحرَّك ونَهَق نهيقاً عالياً، فأفاق عُزيْر ليقولَ بلسانِهِ بَعْدَ قلبه: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وهذا العِلمُ بِقدرة الله ليس بأمر جديد على عُزَير، ولكنَّه كانَ قَبْلَ ذلك عِلماً يقينِياً قَلبياً، وأصبحَ الآن عِلْماً يقينياً قلبياً وعَيْنياً.

أبنائي وبناتي الأعزاءُ هذه قصةٌ وَرَدَت في كتاب الله سبحانه وتعالى تبيّن لنا أن الله جَلَّ وَعَلا هو المُحْيي المُميتُ الباعِثُ للخلائِقِ كُلِّها يَوْمَ القيامة، القادرُ على كُلّ شيء.

وإلى لقاء آخر في قصة من قصص: «ما ورد في القرآن من الطير والحيوان».

أسئلة للمناقشة:

١ ـ اذْكر بعضَ الأَدِلَّةِ التي تُثْبِتُ ذَكاءَ الحِمار الأَصلي؟

٢ ـ لماذا يُجْعَل الحميرُ في مُقَدِّمةِ القافلةِ في المناطِقِ الجبلية؟

٣ ـ ما اسمُ صِغار الحمير؟ وما صفاتُها؟

٤ ـ مُنذُ مَتى استُخدِمَ الحمارُ في مصر؟

٥ ـ لأي غَرَض يُرَبي الإنجليزُ الحمير؟

٦ ـ مُعْجِزَةُ بَعْث الحمار كانت مع نبي غيرِ مرسل، فَمَن هو؟

(١٩)
خالُهُ الحصان

أبْنائي وبَنَاتي الأعزاءُ.. هل أعجبتْكُم الجولةُ الماضية في عالم الحيوان والطيور؟ وهل استمتَعْتُم بمعرفةِ أسرار حياتِها؟ وهل عَرفتُم فوائدَها التي خلقَها الله مِن أجْلِها؟ وما هو شعوركم عندما قرأتُم الآياتِ البيّنات من كتاب الله؟ تلك الآيات التي جاء ذكرها فيها؟

سوف نَعيشُ الآنَ مَع حيوانٍ آخرَ خَلَقَهُ الله لنا لِنَنْتَفِعَ بِهِ ونَشْكُرَ المولى جَلَّ وعَلا على نِعَمِهِ التي تُحيطُ بِنا من جميع الجهات، ومِنْها خَلْقُ هذه الحيوانات التي تُساعدُنَا وتَنْفَعُنا رحمةً من الله بنا.

هذا الحيوانُ الذي اخترتُه لَكُم هو «البَغْل»، هَلْ رَأيتُموه؟ أم أنكم سَمِعْتُم عنه؟ وما هو

إحساسكم عندَ ذِكْرِ اسمِهِ؟ لا شكّ أنكم الآن تَبْتَسِمون إذا لم تكونوا تضحكون، إليكمُ بعضُ صفاتِهِ:

البَغلُ حيوانٌ قَوِيٌّ لكنه أقلُّ حَجْماً من الحصان، وأكبرُ من الحمار، إنه وَسَطٌ بين الحيوانين وَينْتَمي إليها بصلةِ القُربى، فالحصان هو «خاله»، أي أخٌ لأمه بينما الحمار أبوه.

إذن.. فالبغل نتاجٌ مُخْتَلَطٌ من الحُمُرِ الأهلية والخَيْل، أُمُه فَرَسٌ وأبوه حِمارٌ أهلي، والحُمُرِ الأهلية كما عَرَفتم مِن قصة: «ذَكاء الحمار» هي في الحقيقة مِن فصيلةِ الحُمر الوَحْشيَّة التي تعيش في الغابات وإن تمَّ استئناسُها مِنْ قديم الزمان، فأصبحتْ تعيشُ بين ظهرانينا وقد نسيتْ التوحشَّ والغابة، وَتحوَّل جِلدُها مِن مُخَطَّطٍ مُزَرْكَشٍ كما تشاهدونُها في حديقة الحيوان، إلى شَعْرٍ آخر ذي لونٍ واحد، نَعودُ إلى حيواننا الظَّريف «البغل»، فنقول:

إنَّ البغْلَ قَد وَرِثَ عَنْ أَبويهِ بعض صفاتِهما، فأَخَذَ مِن أبيه الصبْر والتَحمُّلَ وأَخَذَ مِنْ أمّهِ القوةَ

والسُّرْعَة، فأصبح مُتَميِّزاً بصفاتٍ نافعةٍ تَجْعَلُنا نحبُه ونَحرِصُ على مَعْرِفَةِ كلِّ ما يتعلقُ به.

فالبغل ذو إمكانيات كبيرة في السير؛ فهو قادِرٌ على الاحتفاظِ بتوازُنِهِ عندما يَسيرُ على الأحجار وفوق الصُّخور المرتفعة، وَهُوَ لهذا كبيرُ النفعِ في القرى الجبلية حَيث لا توجَدُ طرقٌ مُمَهَّدَة.

أما عيبُه الوحيدُ فهو عنادُه، فعندما (يَحرُنُ) البَغْلُ أي يُعاندُ ويَرفضُ الامتثالَ لقائِدِهِ، فإنَّه يَصعُبُ على أي قائدٍ أن يتحكَّم فيه.. ويَظَلُّ هكذا على رفضِهِ مَهْما يُحاوِل القائدُ أن يُثْنِيَهُ عن تصميمِهِ حتى وَلوْ قَتَلَه ضرباً.

ولذلك فإن خُبَراء البغال يَنصَحُون مَن يستعملها بأنْ يَتركَها عند ما تحرُن؛ يتركها بعض الوقت ويُقدِّم لها بعضَ الطعامِ والماءِ حتى تَرْضَخ لأوامِرِه عن طريق المودةِ والحُسنى.

وقد انتشرَ تهجينُ البِغال وإنتاجُها منذ فترةٍ طويلةٍ من الزمن، وهكذا عُرفت مناطقُ معروفةٌ بإنتاج البغالِ عَن طريق التَّهْجين ولم تنقرضْ هذه الصنعة إلا منذ زمن قريب. وأشهرُ هذه المناطق هو

أحد أحياء القاهرة؛ يسمى حي: «البغّالة»، واسمُهُ قائمٌ إلى الآن، كانَ سُكانُ هذا الحيِّ من أشهرِ المُهَجِّنين لإنتاج البغال، فَيَتِمُّ فيه التزاوج الصِّناعيُّ المقصودُ بين ذُكور الحمِير وإناثِ الخيول، على يدِّ أُناسٍ بَرعُوا في هذا العمل وأَجادُوه.

ولكنَّ هذا النشاط الإنتاجي قد قَلَّ الآن أوْ أوشك على الانقِراض.

والبِغَالُ فِيها الذكورُ والإناث ولكنَّها لا تتزاوج، فهي عَقيمٌ لا نسْلَ لها لأنها ناقصةُ الخِلقة، ولذلك فإنها تتميزُ على آبائِها وأمهاتِها بالتحمُّل والجَلَد وطولِ العمر، وأصواتُها خليطٌ بين النَّهيق والصهيل القصير، ويُفَضِّلُها أصحابُ الأعمالِ الشاقَّةِ على أبائِها وأمهاتِها لأنها لا تَتْعَبُ بسهولة، ولا تصابُ بالأمراض إلا قليلاً.

فهُمْ يستعملُونها في جرِّ العَرَبات الخشبية التي تَنْقُل الأثقالَ خِلالَ الطُّرُق الوعرة.

ويُقال: عَن طريق الفكاهَةِ والنكتَةِ والرَّمْز والمجَاز:

(إنَّ البَغْل كُلَّما سُئِل: مَن أبوك؟ كان جوابُهُ الدائم: «خالِي الحصان»).

كَما يُوصَفُ الشخصُ الصَّلْبُ الذي لا يَتْعَب بصِفةِ البَغل فيقولون عنه: «إنَّه كالبغل في تحمُّلِهِ».

وقد ذُكِرَ اسمُ هذا الحيوان في كتاب الله الكريم مرةً واحدة، في قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[1] صدق الله العظيم.

أيُّها الفتى المسلم، وأيتُّها الفتاة المسلمة.. عَلَيكُما أَنْ تَقرأ هذهِ الآية وأن تَتَمَعَّنا ببلاغة العبارةِ وَجَمالِ التَّعبير الإلٰهي، فإنكما ولا شَكَّ سوفَ تَحُسَّان كأَنَّكما تُشرفان بقَلبَيْكما ونظركما على هذا الكونِ الرائع، فتَشعُران بما أَغدَقَه المولى جلَّ وعَلا علينا مِنْ نِعَم كُبْرى لا يستطيعُ بَشَرٌ مهما أُوتي مِن قوةِ البلاغةَ وَجَمَالِ العبارة أن يَصل إلى تَعْبيرٍ مُشرِقٍ بالمعاني ليَصِفَ بلاغةَ القرآن وروعةَ مَعانيه:

---

(١) النحل: ٨.

فالآيةُ الكريمةُ تَصِفُ نِعَمَ الله على خَلْقِهِ وصفاً تَعْجز عَنه البلاغةُ البَشريَّة مما يجعل المتناولَ لهذهِ الآيات، المتعمِّق في اتّباع إشراقاتِها يَنطِقُ لسانُه بما يَحسُّه قلبهُ ويقول بعفوية وتلقائية: «سبحانَ الله الخالقُ المُبدعُ الذي أعطى لكلِ نوعٍ من مخلوقاتِه وظيفةً لا يَصْلُحُ إلا لها وَمهمةً لا يستطيعُ غيرُه أن يؤديها أداءه».

فالخيل، والبغال، والحميرُ للركوب والزينة، كلٌّ مِنها لَهُ خصوصياتٌ لا يَتَعَدَّاها ولا يستطيعُ غيرُه أن يُتْقنَها.

فَقَد ذَكرَ الله الزينة بَعْد «الركوب»، وهذا الأسلوبُ له مدلولُه العظيم.

فالإسلام دينُ الحياة، دينُ الفِطرة، فبعْد أَن خصصَ هذهِ الحيوانات للرُّكوبِ والسَّفَر والحُروب ونَقْل المتاع، انتقلَ إلى حاسَّة الجَمال، هذه الحاسةُ التي تَشْتَاق إليها النَّفْسُ البشريةُ بفطرتِها وطَبيعتِها.

فَتَركَ الله المجالَ مَفْتوحاً لتتلاءم الضرورةُ مَع الحسِّ بالجمالِ والشَّوْقِ إلى الزينة التي تَجُولُ في

كلِّ نفس، ويتمنَّاها كُلُّ إنسان بما جُبِل عَليه مِن فِطْرَةِ حُبٍّ لكلّ جميل.

وهذا الجمالُ والتَّزيُّن وإن كان مِن مَتاع الدُّنيا، فقد أبَاحَه الله لعبادِهِ.

وقد قالَ ﷺ: «**الإبِلُ عَزٌّ لأهلِها، والغَنَم بَرَكَة، والخيلُ في نواصيها الخير**».

وقد استدَل بعَضُ العلماءِ مِن الآيةِ الكريمةِ على أنَّ لُحومَ الخَيل والبِغالِ والحمير مُحَرَّمَةٌ لقوله تعالى: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾.

ومنهم الإمامُ الأعظمُ أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه، وكذلك الإمام أحمد رضي الله عنه، الذي استأنَس بالآية وبحديثٍ شريفٍ رواهُ عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال فيه:

«نهى رسولُ الله ﷺ عن أكْل لُحومِ الخَيلِ والبِغَالِ والحمير».

ولكن كُل هذا لا يقاوِم ولا يَنْفي ما ثَبَت في الصحيحين عن جَابر بن عبدالله حيث قال: «نَهى

رسولُ الله ﷺ عن أكْل لُحوم الحُمُر الأهلية وأذن في لحومِ الخيل».

وعَن جابرٍ قال: «ذَبَحْنا يَوْمَ خيبرَ الخيلَ والبغالَ والحميرَ فنَهانَا رسولُ الله ﷺ عن البِغالِ والحَمير، ولم يَنْهَنَا عَن الخيل»، رواه أحمد وأبو داود رضي الله عنهما.

وفي صحيح مسلم عن أسماءِ بِنْتِ أبي بَكْر رضي الله عنهما قالت:

«نَحرْنا على عهد رسولِ الله ﷺ فرساً فأكلناه ونحن بالمدينة».

وإلى ذلك سار جمهورُ العلماء: مالكُ والشافعيُ وأحمدُ مَعَ أكثرِ السَّلف والخَلف رضي الله عنهم جميعاً.

أما قوله جلَّ وعلا: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فهو دليلٌ على أنَّ الله سبحانَه وتعالى قد جَعَل المجالَ مفتوحاً أمامَ القُصور البَشري عَلى مدى المكانِ والزَّمان؛ بأن هيّأَ الأذهانَ والقلوبَ لاستقبالِ كلِّ ما يَهتدي إليه البشرُ من إمكاناتٍ أخرى للتنقل

والركوب والزينة بوسائلَ يكتشفُها العقلُ البَشري في المستقْبل بإرادة الله جَلَّ وعلا.

نعودُ ثانية إلى حُرْمَة أكْلِ لحوم البِغال فنستدل على ذلك بقولنا:

«إنَّ البغالَ مُتَولِّدةٌ من الحُمر الأهلية والخيل». كما سبق القول به.

فإذا كانت الخيل لا تؤكل جدلاً؛ فإن البغال نتاجُ حيوانين لا يؤكل لحمهما، فيحرم لحم البغال.

وإذا قُلنا: أنَّ الخيلَ لحومُها حَلالُ والحُمرُ الأهلية مُحَرَّمٌ لَحمها، فإن البغال إذن متولّدة من مأكولٍ وغير مأكول، فيغلُبُ التحريمُ على ما يَلزَم في الأصول.

أبنائي وبناتي الأعزاء:

هل عَرفْتم ما هي البغال؟ وكيف خَلَقها الله لنا بحكمةٍ بالغةٍ؟ وما فائدتُها للإنسان؟ ولماذا يُفَضّلُها كثيرٌ من الناس على الخيل والحمير؟ وإلى لقاء آخر إن شاء الله مع صِنْفٍ من أصنافِ ما ورد في القرآن من الطير والحيوان.

أسئلة للمناقشة:

١ ـ من هو والدُ البغل؟ ومن أمه؟

٢ ـ لماذا يَشْتَهِر البغلُ بأنَّه حيوانٌ قويٌّ حَمُول؟

٣ ـ ما هي الصفاتُ التي وَرِثَها البغلُ عن أبيه؟ وعن أمه؟

٤ ـ ما هو عِلاج البَغْل الحَرُون؟

٥ ـ ما هو حُكْم أكْلِ لَحْمِ البِغال والحُمر الوحشية والأهلية والخيل؟

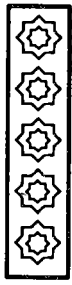

(٢٠)
الوَحْشُ الشَّريف

هل سَبَقَ لَكَ أن سمعتَ عن وَحشٍ مُفْتَرسٍ قَد وُصِفَ بهذه الصفةِ الكريمة، «صفة الشرف» سوفَ تَتَعجبُ وتَمتلىءُ نفسُك بحبِّ الاستطلاع، ويَهتِفُ بك الشوقُ: ماذا يكون؟ هل هو حقّاً وَحْشٌ، هذا الذي نُطلقُ عليه: «شريفاً»؟

ولكن انتظرْ قليلاً، سوف أُرضي فُضولَك، وأُقنعُك بأنَّه وَحشٌ وشريفٌ لأنه وبالرغم من ضراوته، فيه من صفات الشرف والأَنَفَة وعزة النَّفس، ما ليسَ في كثيرٍ مِنَ الحيواناتِ بلْ ما ليسَ في كثيرٍ من البشر.

إنَّ كثيراً من الناس الذين يَعرِفون صفاته يُطلِقون اسمَه على أولادِهم عَن طريقِ التكريم، كما

أنَّ الأبطالَ وأصحابَ الشجاعةِ الخارقةِ والجُرْأَةِ النادرةِ قد شَبَّهَهم الناسُ بهِ، فكأنَّ شَرَفَ خِصَالِهِ وَعَظَمَةِ شَجَاعَتِهِ قد جعلَتْنا نَلتَمِس في اسمِهِ رَمزاً للهيبة والبُطولَةِ.

ولا تَتَعجَّل الأمورَ فَتَتْرُك عَدداً من السطور، وتَستَبقَ الأحداثَ لِتصلَ بِسرْعةٍ إلى معرفةِ هذا الحيوان، بل استمرْ في القراءة، وتَجَمَّلْ بالصَّبرِ وسوفَ تَعْرِف ما تريد.

إنَّ هذا الحيوان يَعيشُ في الغابات وخاصةً الغابات المفتوحة، ذاتِ الأشجارِ المتفرقة، والتي يُسمِّيها الجغرافيون: «السافانا».

وفي السافانا الإفريقية، تَعيشُ مُعْظَمُ الحيواناتِ آكلة العُشْبِ حيث يتغذَّى هذا الوحشُ على لحومِها بعد أن يَهجُمَ عليها بقدرةٍ وَقوَّةٍ رهيبةٍ فيفترسَها؛ ولذلك تخافُه كلُّ الحيوانات، وتهابه كلُّ الوحوش الأُخرى، وعندما تَسمَعُ صوتَهُ يَحلُّ الفَزَعُ والرُّعْبُ في قلوبها، فتهْربُ مِنه بكلِ ما أُوتيت مِن سُرعةٍ وإلا فهي هالكة لاَ محَالة، ويُطلِق عليه الناس: «مَلِكَ الغَابة»، أو: «مَلِكَ الوحوش».

هل عرفتَه الآن؟

لا شكَّ أنك عَرفْتَ أنَّ هذا الحيوان هو الأسد.

وعندما تَسمعُ اسمَ الأسدِ يتبادرُ إلى ذهنِك فوراً «حيوانٌ قويٌّ شُجاعٌ جَسور»، يُمكِنُه أن يتغلَّب على أكبر الحيوانات حَجْماً في الغابةِ وأَشدِّها وأكثرِها قُوة.

ولكن هل اسمُ الأَسدِ هو الاسمُ الوحيدُ له؟

كلا.. فقد أطلق اللغويون عليه أسماءَ كثيرةً جداً منها:

السَّبُعُ، القَسْوَرة، الهِزَبْر، اللَّيث، الأسْوَد، التّاج، الصَّعب، الضِّرْغام، الضيغم، الغَضَنْفَر، أُسامة، وغيرها مِن الأسماء الأُخرى التي تَدلُّ على القوة والجُرأَة، وكَثرةُ الأسماءِ تَدُلُّ على شَرَف المُسمَّى.

والاسمُ الأولُ والثاني: «السَّبُع، القَسْورَة» هما ما جاءَ بهما القرآنُ الكريمُ في سورتينِ كريمتينِ مِن سُورَهِ.

وتعيشُ الأسودُ في الغاباتِ على هَيْئة جماعاتٍ صَغيرةٍ تَتَكَوّنُ غالباً من أُسرَةٍ بأشبالها أو عَدَدٍ من الذكور لا يزيدُ عادةً عَن أربعةٍ أو خمسة.

ومن عادتها أنْ تنامَ في بيوتِها التي يُسمى واحدُها: «العَرين»، تنامُ أثناءَ النهار مُتَمَددةً بِتراخٍ وهدوءٍ وتستمرُّ هكذا إلى أن يَحِلَّ المساءُ، فَتخرُجَ باحثةً عن فرائِسها، فَتَخْتَفي بين الحشائش القريبةِ من الماءِ مُنْتَظِرةً الحيواناتِ العَطْشى فإذا رأتْ فرائسَها مقبلة على الماءِ لتَشْرَب زحَفَت بهدوءٍ ناحيتها حريصةً على أن تكونَ بعيدةً عن مَهَبِّ الرياح حتى لا تَشُمَّ الحيواناتُ رائحتَها فتهربَ، ويستمرُّ زَحفُها حتى تكونَ قريبة منها ثم تندفِعُ نحوَها بوثْبَةٍ سريعة مُفاجِئَة، فإذا كانت الفَريسةُ صغيرةَ الحَجْم كالغزال مَثَلاً، فإن الأسدَ يُمسِكُها ويَدْفَعُ بها إلى الأرض ثم يَنْهَشُها حتى الموت.

أما إذا كان الحيوانُ كبيرُ الحَجْم كالحمار الوحشي الكبير، فإن الأسد يَلْجأُ إلى الإمساك برأسهِ ويستخدِمُ قوَّته الخارقة لِيَدقَّ عُنُقَهُ في الأرض فَتَنكسِرَ رَقَبَتُه، ثم يستمرُ في نَهشِهِ مِن رَقَبَتِه حتى يموت، ثم

يسحبُه في مأمن، تحت شجرةٍ مَثَلاً أو داخلَ كهف، ويبدأُ بعد ذلك في فتح بطنِهِ ليأكُلَ أولَ ما يأكلُ أحشاءَه، ثم تحضُرُ بَقيّةُ أسرةِ الأسد لِتَطعَمَ من الفريسة كما شاءت، فإذا شَبع الجميعُ تركوا بقية الفريسة لغيرها من الوحوش الصغيرة، كالضباع والثعالبِ والذئابِ، يليها النسور التي تَلتَقِطُ العِظَامَ الجافة إلى أعشاشها.

أمَّا مدى خطورة الأَسَد على الإنسان، فليس ذلك بوجهٍ عام؛ فهي لا تَهْجُم على الإنسان إلا إذا تَحدَّاها واستثارها، أو أصابَها بجرْحٍ فإنها إذن تَهْجم عليهِ للأخْذ بثأرها منه.

والدليلُ على ذلك أنَّ هناك بَعض الأسودِ يدفَعُها الفضولُ ليلاً لدخولِ أحدِ المُخيماتِ في الغابة رَغْبة في اكتشافِهِ، ولكنها لا تلبَثُ أن تَنْسَحِبَ في هدوءٍ تام دون أن تُصيبَ أحد سُكانِه النائمين بسوء.

وأيضاً ما نراهُ من استئناسِ الأسود وتقديمِ ألعابها في بعض العروض التي نراها تقدم في الأعياد، بعد أن يُدَرّبَها بعضُ المدرِّبين على تقديم هذه الألعاب المُسَلِّية، مما يَدُلّ على أنَّ الأسودَ

سَهْلَةُ التَّرويضِ، إذا رُبِّيَت مُنذ صِغَرِها مع الإنسان، ووُفِّر لها ما تحتاجُه من الغذاء والأمن.

وعلى الرغم مما ذَكَرْناه، فإن هناك أسوداً تَفْترس الإنسان، ولكنَّها أسودٌ كبيرةُ السّنِّ ضَعُفَت قُوتُها فلم تستطع الصيدَ، ولم تَقْوَ على الجري لتحصل على طعامها، فيدفعُها الجوعُ إلى افتراسِ امرأةٍ ضعيفةٍ وحيدةٍ، أو طِفلٍ صغيرٍ أو رَجُلٍ أعزل يَسيرُ وَحدَه.

ثم يتعود هذا الأسد بعد ذلك على الصيْدِ السهل، فتزداد جرأتُه، ويصل به الأمر إلى التسلّل ليلاً إلى الأكواخ في القرى المقامة على أطراف الغابة، يتسلَلُ ليسحَبَ رَجُلاً نائماً ليتَّخذَه طعاماً يَسُدُّ به جوعَه.

وسكانُ هذه القُرى يَعرفون بالخِبرَة شكل الأسدِ الذي تعَوَّد على افتراس الإنسان، يعرفونَه مِن شَكلِ لُبْدَتِهِ المرْفوعَةِ دائماً، ويقولونَ عنهُ: أسدٌ مجنونٌ بلحم الإنسان. فيخرج هؤلاء السكان في جماعاتٍ مُسَلَّحةٍ ويَبحثونَ عنه لقتْلِهِ وتخليصِ المنطقةِ مِن شرِهِ.

وتولدُ أشبالُ الأسود اثنين أو ثلاثة في كلِّ مرة، ويكونُ الشبلُ عادةً في حجم القط الكبير عند ولادتِهِ، وترضعُ الحليبَ من أمها، ثم تَبْدأ المشي بعد شهرين من ولادتِها، وبعدَ سِتَةِ شهورٍ تُعَلّمُها الأُمُ الأكْلَ وتُفْطِمُها عن الرضاعة، وعندَما يصِلُ سنُّ الشبّل إلى ثمانية شهور يُعَلّمُهُ أَبَواه الصيدَ، وبعد سنةٍ يُصبحُ حجْمه في حَجْم الكلبِ الكبير، وفي سن الثلاث سنوات تَبْدأُ لِبدَتُهُ في النُّموِّ، ولكنه لا يستطيعُ الاعتمادَ على نفسهِ إلا في سن السادسة أو السابعة من عُمره، فيمارس حياتَه مُنفرداً.

ويبدأُ في الضَّعف والشيْخوخة من سنِّ الخامسةِ والثلاثين إلى سن الأربعين حيث تَقْرُب نهايتُه، وَمِنْ شَرَف نفسِهِ أَنَّه لا يأكُلُ مِن فريسَةِ غيرِهِ، ولا يعودُ إلى فريستِهِ مرةً أخرى وقد ذُكرَ اسم الأَسَدِ في آيتين من القرآن الكريم، أولُها قولُه تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن

تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[1] صدق الله العظيم.

فبيَّن المولى سبحانه وتعالى ما يحرم أَكْلُه على المسلمين، ومنها ما أَكلَ مِنْه السَّبُعُ، والمقصود هنا بالسَّبع في الآية القرآنية ليس الأسد فقط وإنما يُقْصَد به كل حيوان مُفْتَرس ذي نابٍ، ومنها الأسد أو الذئب أو الضبع أو النمر وغيرها، فالسَّبعُ هنا يَدْخُلُ تحتَه كلُّ الوحوش آكلة اللحم.

ومِن بَعْضِ العَرَب مَن يوقِفُ اسمَ السَّبعُ على الأسد فقط.

وكان العربُ قبلَ الإسلام يأكلونَ بقايا مَا تَرَكَه السَّبع من الفريسة، فجاء الإسلَامُ ليُحَرِّمَ لحمَ فَريسةِ السَّبع على المسلمين.

ولكن هناك رُخصَةٌ للمسلم ليأكلَ مِن هذه

---

(١) المائدة: ٣.

المُحرَّمات؛ وهي أنه إذا تعرَّض للموت جوعاً فعليه أن يَأكُلَ من هذه المحرَّمات بقَدَرِ ما يَحْفَظَ عليه حياتَه، هذا إذا حُصر في صحراء مثلاً وَلَيْسَ هناكَ بديلٌ لهذه المحرمات.

ومنها أيضاً إذا أَدْرك الفريسة قبل أن تموت وذَبَحها، فإن لَحْمها يُصبحُ حلالاً ما عدا الخِنزير فإن لحْمَهُ حَرَامٌ على المسلمين إطلاقاً، وكذلك الميتةُ والدم والكلب.

﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: أي: ما ذُكر اسمُ الصَّنَم أو الوَثَن عليه أثناءَ ذَبْحه أو ما ذبح باسم غير اسمِ الله.

﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾: هي ما خُنقَتْ بحبْل أو حُشِرَتْ بينَ عودين أو حُبِسَ تَنَفُّسها لأي سَبَب.

﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: هي التي سَقَطَ عليها حَجرٌ أو ثِقَلٌ، أو ضُربت بعصا.

﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾: هي التي سَقَطَت مِن مكانٍ عال.

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: هي الحيوانُ الذي يَنْطَحُهُ حيوانٌ آخر فَيُعَرّضُه للموت، سواءً أكان شاةً أمّ بَقرةً أم

ناقة؛ فَيَحِلُّ لحمُ كلّ هذهِ الحيوانات إذا أدْرَكْناها وَذَبَحْناها قَبْلَ أن تَلْفُظَ آخرَ أنفاسِها بشرْطِ أن يُذْكَرَ اسمُ الله عَليها عند الذَّبحْ.

فإذا كانَ الحيوانُ الذي أَدْرَكْناهُ قبلَ مَوْتِه وَذَكَّيْنَاه بالذَّبح الشَّرْعي حامِلاً، فإن الجنينَ في بَطنه صارَ لَحْمُهُ حلالاً. يقول رسول الله ﷺ: «**ذكاةُ الجَنينِ ذكاةُ أُمِّه**».

وقياساً على الحُكم في قولِ رسول الله ﷺ: «**لو أُعْتِقَتْ أَمَةٌ حاملٌ فإن ابنَها عِتقُهُ عِتقُ أُمِّه**».

على أنَّ هناك صورة أخرى وَضَّحها العلماء وهي:

«إنَّ جَنينَ الذبيحةِ المُدرَكة بالذَّبحْ قبلَ الموت، إذا أُخْرِجَ من بطنِ أُمّه وكانَ حَيّاً فإن ذكاة أُمّهِ ليست ذكاةً له، وإنما يَجِبُ تذكيتُه، أي: ذبحُه قبلَ أن يموت حتى يَحِلَ لنا أكْلُ لحمِهِ، فإذا مات قَبْلَ أن نُدرِكَه حُرِّمَ علينا أكْلَ لَحْمِهِ.

أما المرةُ الثانية التي جاء فيها ذِكْرُ الأسد في كتاب الله فعندما قال تعالى:

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾[1].

ذُكر فيها اسمُ الأسد بلفظ آخر من أسمائه وهو لفظُ: «قَسْوَرة».

وقد شبَّه الله جلَّ وعَلا الكفارَ في مكة بأنهم كانوا يَفرّون من دَعْوة الرسول ﷺ، كما تَفِرُّ الحُمُرُ الوحشية أمام الأَسد خوفاً وفزعاً، وعندما شبَّه الله تعالى الكفارَ بالحيوانات التي تَفِر أمامَ الأسد فقد بَيَّن لنا خوفَ هؤلاء من دعوة الإسلام.

تُرى.. هَلْ في الدعوةِ الإسلامية خَطَرٌ فظيعٌ عليهم مِثْلَ خَطَرِ الأسدِ على الحُمُر الوحشية؟ طبعاً لا.. ولكنَّهم كانوا يَخافُون مِن تَذْكِرَةِ مُحمد ورسالتِه ودينِهِ لأن هذا الدِّينَ خَطَرٌ على حياتِهم الاجتماعية والاقتصادية من وِجهَةِ نَظَرِهِم.

فكفارُ قريش كانوا يعيشونَ على الظُّلم والتَفْرقَةِ العُنْصرية، فهم سادةٌ وَجميعُ المستضعفينَ عَبيد،

---

(١) المدثر: ٤٩ ـ ٥١.

والإسلامُ دِينُ مساواة لا فَرْقَ بين غَنيٍّ وفَقير، ولا أبيضَ وأسود، فالكلُّ أمامَ الله سواءٌ لا يُفَضّل أحدٌ على أَحَدٍ إلا بالعَمَل الصالح. ومِنْ هنا كان كفارُ قُريش يَخافونَ على سُلطَتِهم وأموالِهم من مبادىء الإسلام الحَنيف ويَعْتَبرُونَه خطراً عليهم، فَيُعرِضون عن دعوة محمد ويفرون مِنْه كما تَفِرُ الحيواناتُ أمام الأَسد.

والآيتان فيهما استفهام استنكاري: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾.

أي: فما لهؤلاء الكُفار قد أعْرضوا وولّوْا عما جئتَهم به من الهُدى والحق، كما تَفِرُّ الحُمُرُ الوحشية مِن خَطَرِ الأَسد خوفاً وذُعْراً.

وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه وابن عباس، وابن عرفة، وزيد بن أسلم: «القسْرُ بمعنى القَهْر، أي: أنَّه يقَهْر السِّباع، والحُمُرُ الوَحْشِية تهرُبُ مِنَ السِّباع»، وهذا هو قول الجمهور.

أيتُها الفتيات والفتيان: هذا هُو الأَسَد أو السَّبع أو القَسْورةُ كما قَرأْتُم، وله كما ذكرتُ أسماءَ أخرى

كثيرة ذَكَرَها العرب؛ وهي موجودةٌ في القواميس العربية، فإذا أردتم معرفتها كُلِّها فعليكُم بالتراثِ العربي تطَّلِعُون عَليه فستجدونَ بهِ ما تريدون. وإلى لِقاء آخر إن شاء الله.

أسئلة للمناقشة:

١ ـ لماذا نَصِفُ الأسدَ بأنَّه وَحْشٌ شريف؟

٢ ـ متى يكونُ الأَسدُ خَطِراً على الإنسان؟

٣ ـ اذكرْ بَعض أسماءِ الأسد.

٤ ـ ما هما اسما الأسد اللذان ورد ذِكْرُهما في القرآن الكريم؟

٥ ـ ما هي: أ ـ النّطيحةُ؟ ب ـ المُتَرَدِّيَة؟ جـ ـ الموقوذَةُ؟

٦ ـ ما هو حُكْمُ أَكْلِ لَحْم جَنين البَهيمةِ التي ذُبِحَت ذَبْحاً شَرعياً؟

٧ ـ ماذا يَجبُ علينا إذا وَجَدْنا الجنين حياً بَعْدَ أن فَتَحْنا بطن أمه؟

٨ ـ بماذا شَبَّه القرآنُ مَن يَهربُون مِن الدعوة الإسلامية؟

٩ ـ ما هو الدليلُ على أنَّ الأسد يُمكن ترويضُه دونَ خَطر؟

١٠ ـ كم سنةً يعيشُ الأسدُ غالباً؟

المراجع

١ - تفسير القرطبي.
٢ - تفسير ابن كثير.
٣ - تفسير الطبري.
٤ - كتاب الحيوان للجاحظ.
٥ - كتاب الحيوان للدميري.
٦ - صحيح البخاري.
٧ - صحيح مسلم.
٨ - رغائب القرآن في غرائب القرآن للنيسابوري.

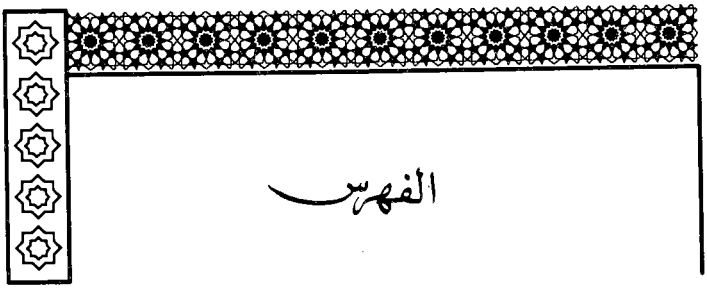

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
(١) الغراب المعلِّم	٧
(٢) البقرة الصفراء	١٧
(٣) الفيل محمود	٢٧
(٤) النحلة الطيبة	٤١
(٥) النملة المؤمنة	٥١
(٦) الهدهد المهندس	٦١
(٧) العنكبوت النَّسّاج	٧٥
(٨) الكلب قطمير	٨٣
(٩) الضفدعُ ـ والجرادُ ـ والقُمَّلُ	٩٥
(١٠) القرود اليهود	١٠٧
(١١) الذبابة الوثّابة	١١٧
(١٢) الثعبان الرهيب	١٢٧
(١٣) خيولِ اللّه	١٤٥
(١٤) النَّعْجةُ السعيدة	١٦١

الموضوع	الصفحة

(١٥) الحوت المبارك ١٧٧
(١٦) الذِّئْبُ البريءُ يتكلم ١٩٣
(١٧) النَّاقةُ العِملاقَة ٢٢١
(١٨) الحمارُ الذَّكي ٢٣٩
(١٩) خالُهُ الحصان ٢٥١
(٢٠) الوَحْشُ الشَّريف ٢٦١
المراجع ٢٧٥
الفهرس ٢٧٧